تصوير أبو عبد الرحمن الكردي

المركز العربي للدراسات الإنسانية

الإسلاميون والتحديات المعاصرة

عرض وتحليل

تأليف

د/ سامي محمد صالح الدلال

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

الإسلاميون والتحديات المعاصرة
عرض وتحليل

د. سامي محمد صالح الدلال

رئيس وحدة البحوث والدراسات

م. حسن الرشيدي

hassan@arab-center.org

المركز العربي للدراسات الإنسانية

القاهرة ١٢ شارع رفاعة متفرع من

الخليفة المأمون - مصر الجديدة

www.arab-center.org

mail: info@arab-center.org

هاتف: ٢٢٤٥٣٥٤٢٢ ٢٠٢+

فاكس: ٢٢٤٥٢٢٨٠١ ٢٠٢+

نقال: ٠١٠٥١٢٥٩٥٦ ٢٠+

تعريف بالمركز:

قام هذا المركز ليعيد قراءة واقع العرب والمسلمين بفهم عميق.

من خصائص هذا الفهم:

١-أنه مرتبط بسنن الله في الكون والأرض والحياة، وقبل كل ذلك بكتاب الله وسنة نبيه.

٢-يتسم بطابع المنهج العلمي الاستنباطي وليس الاستقرائي فقط.. هذه العلمية تتحقق عبر مستويات الوصف والتحليل والتوقع.

٣- أنه يرى الواقع بصورته كما هو، بدون تهويل أو خداع أو مبالغة.

٤- يستفيد من تجارب الآخرين في قراءة الواقع.

هذا الفهم للواقع يهدف إلى بحث الخيارات الممكنة، والسبل المتاحة، لكي تأخذ الأمة الإسلامية وضعها ومكانتها في البيئة الدولية، وقدرتها على تحدي القوى والاستراتيجيات العالمية والإقليمية، بل ووصولها إلى وضع القوة المهيمنة الأولى على الساحة الدولية مستقبلاً في ضوء اللحظة الراهنة، ليس ذلك استكبارًا أو تجبرًا في الأرض، بل أداء لمهمتها التي كلّفها الله بها في الأرض.

الموزعون:

مصر: المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة: ١٢ شارع رفاعة، الخليفة المأمون ـ مصر الجديدة ـ هاتف: ٢٢٤٥٣٥٤٢٢ فاكس: ٢٢٤٥٢٢٨٠١ الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩، هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦. سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص. ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠. البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص. ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١. السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠. السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف: ٧٩٣٢٨٣ ـ فاكس: ٧٩٣٢٨٤ ـ ص. ب ١١١٦٦ الخرطوم. الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣. قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ ـ ٤٥٥٧٨١١ ـ ٤٥٥٧٨١٢ ـ فاكس: ٤٥٥٧٨١٩. الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت رمز بريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩. المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩. اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب: ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ – فاكس: ٤٠٥١٣٥.

بسم الله الرحمن الرحیم

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢١٤١٨/ ٢٠٠٨م

استهلال

الحمـد للـه رب العالمين، والصلاة والسـلام على إمام المرسـلين، محمد المبعوث رحمـة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، وعلى من اتبعه وسـلك هديه وسُـنّته إلى يوم الدين.

أمـا بعد، فإن الأمة الإسـلامية تمر في مرحلة حرجة مـن تاريخها؛ حيث تكالب عليها الأعـداء من كل حدب وصوب، جاءوها بقَضِّهم وقضيضهم، منقضين عليها جوًّا وبحرًا وبرًّا، مستخدمين أسـلحتهم الحربية والإعلامية، باذلين لأجل ذلك المليارات المقنطرة مـن أموالهـم، دافعين إلى سـاحات الوغى بفلـذات أكبادهم، قاصديـن إذلالها وهزيمة دعوتهـا، داعيـن إلى إخراج المسـلمين من نـور التوحيد والعدل والسـلام إلى ظلمات الشـرك والبغي والعدوان، فتحقق في عصرنا هـذا قـول النبي صلى الله عليه وسـلم فيما رواه ثوبان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يوشك الأمم أن تداعى عليكـم كمـا تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقـال قائل: ومن قلة نحن يومئـذ؟ قال: بل أنتم يومئـذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السـيل، ولينزعن الله من صـدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهـن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهـن؟ قال: حـب الدنيا وكراهية الموت» رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح [1].

وقد رأيت أن أُلْمِلم التحديات التي يواجهها العمل الإسـلامي اليوم في هذه الدراسـة المقتضبـة، والتي لا تتجـاوز كونها رءوس أقـلام لخطوط عريضة في طبيعـة المواجهة بيـن الأمة الإسـلامية وأعدائها من الشـرق والغرب الذيـن أحاطوا بها كإحاطة السـوار بالمعصم.

وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة، وهي هذا الاستهلال المقتضب، وأربعة فصول وخاتمة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٦/ ٢٩٥) ح رقم (٢٢٢٩٦). قال محققه حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. وانظر صحيح سنن أبي داود للألباني (٣/ ٨١٠) ح رقم (٣٦١٠)، وأخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٨٣) ح رقم (٩٥٨).

وقد تناولت في الفصل الأول عرضًا عامًّا للتحديات المعاصرة التي تواجه الإسلاميين، وهي ستة تحديات رئيسة: الأول: أغلفة العالم، الثاني: القوى العالمية، الثالث: التكتلات: الرابع الإخضاع الشمولي القسري، الخامس: هشاشة الوضع الإسلامي ورثاثته، السادس: تآكل تميز شخصية المسلم. ثم ذكرت مرامي هذه التحديات ثم كيفية مواجهتها، حيث تكلمت عن منظورات التشخيص، ثم التعامل مع التحديات ووسائل ذلك، ثم عرجت على منهج مدارس الإسلاميين المعاصرين في مواجهة التحديات، ثم ختمت هذا الفصل بخلاصة تقييمية، ثم ما هو المطلوب من الإسلاميين فعله.

وقد جعلت الفصل الثاني للحديث عن التحدي الأمريكي، والتصدي العالمي لأخطاره، وقد ذكرت فيه العوامل التي تجعل أمريكا اليوم تسكر بقوتها وامتداد نفوذها، مما شكّل أخطارًا عظيمة على عموم دول العالم، والتي بدورها استشعرت تلك الأخطار، فبينتُ خطورتها على كل من دول العالم العربي والإسلامي، ثم على منظومة الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين وسائر دول العالم، وتطرقت إلى الخطوات التي تتخذها تلك الدول لتحصن نفسها ضد تلك الأخطار، والتي من ضمنها إبراز أقطاب دولية، قاصدًا من هذا الفصل رسم لوحة عالمية مبسوطة بين يدي العاملين في الحقل الإسلامي.

أما الفصل الثالث: فقد خصصته للحديث عن التحدي الذي تفرضه مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية، وضرورة الوقوف ضدها ومقاومتها، ووضعت له عنوانًا هو: مقاومة استراتيجية فرض الهيمنة الأمريكية؛ حيث ذكرت فيه الخطوات الابتدائية والمبدئية التي أفرزت هذه المبادرة التي استغلت واقع الضعف الذي يمر به العالم الإسلامي، ثم أشرت إلى الخطوط العريضة في برنامج الإصلاح التي ذكرتها المبادرة، والمسائل الأساسية المشترطة لتنفيذها، ثم تقسيم العالم العربي الإسلامي إلى أربع مجموعات، تخص المبادرة كلاً منها بهيكلية معينة للتعامل معها، ثم ذكرت وقفات إزاء تلك المذكرة واقتراحات بشأنها، ثم ختمت هذا الفصل بأربعة ملاحق متعلقة بما ذُكر فيه.

أما الفصل الرابع فقد اختصصته ببيان التحديات المعاصرة ومشروعية العنف؛ من خلال نماذج مختارة لكلا النوعين منه، المشروع وغير المشروع، وقد سقت أمثلة خطيرة من أنواع العنف غير المشروع مما فعله اليهود في فلسطين والأمريكان في «جوانتنامو وأبوغريب».

إن قصدنا من هذه الدراسة هو وضع المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أمام مسئولياتهم، فالدرب طويل، والطريق مملوء بالحفر، ولكن بإخلاص النية لله -تعالى- وبتوحيد العبودية له، والاستقامة على منهاجه؛ فإن سنة الله -تعالى- في نصر أوليائه وإعزاز جنده سارية عليهم لا محالة بإذن الله -تعالى- خاصة وأن مَوْعُودَه في ذلك قد جاء في كتابه العزيز إذ قال عز من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ (الصف: ٩).

الفصل الأول
التحديات المعاصرة ومدارس الإسلاميين

في خضم الصراع المستعر في أنحاء المعمورة، وفي أتون تأجج نيران الصدامات، وانتشار لهيبها، يواجه الإسلاميون كمًّا هائلاً من التحديات التي أوشكت دوامات أعاصيرها أن تعصف بالعمل الإسلامي، فتقتلع أسقفه وتطيح بأعمدته وتزلزل أساساته.

في هذه الدراسة المقتضبة والمركزة جدًّا سأحاول بيان أمهات هذه التحديات، وأهم ما يندرج تحت عنوان كل منها، ثم ما هي الأهداف التي يريد أعداء الإسلام الوصول إليها بواسطة تغذيتها وتقويتها، ثم ما هي مواقف الإسلاميين من هذه التحديات، وهل أوضاعهم الحالية تؤهلهم للصمود أمام تلاطم أمواجها واتساع مدّها، ثم أخيرًا ما المطلوب منهم فعله لتلافي ما فات ومواجهة ما هو آتٍ !!

ونظرًا لاتساع الموضوع، فإني سأطرقه على شكل نقاط وبنود، يمكن اعتبار كل منها عنوانًا لموضوع قائم بذاته، يحتاج إلى تفصيل من قِبَل المهتمين.

وقبل البدء بقراءة المبحث الفت النظر إلى أمرين:

الأول : هذا المبحث ليس معنيًّا به أيّ قُطْر بذاته، بل على من يقرأه أن يضع على عينيه نظارة «العالمية».

الثاني : لم أُشِر في هذا المبحث إلى مسمى أيّ جماعة أو حزب (إسلامي أو غير إسلامي)؛ وذلك لإكساب المبحث الموضوعية والحيادية. وكذلك فعلت بالنسبة لتلافي مسميات الدول والحكومات، ما عدا التي وقع عليها الاحتلال الأجنبي كليًّا أو جزئيًّا، مع ذكر أسماء الدول التي قامت بالاحتلال.

التحديات :

بالاستقراء والمتابعة؛ فإن الإسلاميين يواجهون اليوم تحديات كثيرة ومنوعة، سأتعرض إلى ستة منها، تعتبر من أبرزها.

التحدي الأول: أغلفة العالم:

أي: إحاطته بأغلفة شبكية تراكمية تشكّل فيما بينها نسيجًا يُغلِّف العالم من أدناه إلى أقصاه، بحيث تجعل جميع دوله مستظلة تحتها لا تستطيع منها فكاكًا، ولا للخروج منها سبيلاً، وربما ضعفت أحيانًا، رغم قوتها، عن إحداث ثقب فيها، أو الاجتراء على فعل تمزيق جزئي في نسيجها.

ومن أبرز هذه الشبكات:

- شبكة الممرات التجارية: البرية والبحرية والجوية.
- شبكة التداولات الاقتصادية، وتتضمن البنوك والبورصات، والشركات والمؤسسات وغيرها.
- شبكة الاتصالات وتبادل المعلومات، سواء عبر الأقمار الصناعية، أو الهواتف العادية والنقالة، أو الرسائل الإلكترونية أو الإنترنت، أو البريد الإلكتروني.
- شبكة الإعلام، سواء عبر القنوات التلفزيونية الأرضية، أو الفضائية أو الإذاعات، أو الكتب والصحف والمجلات، بعشرات أو مئات من اللهجات واللغات.
- شبكة الفنون، وهي شبكة واسعة تحوي المغنين والممثلين والممثلات، والرسم والنحت، والسينما والمسرح، والفرق الموسيقية والفولوكلور.. إلخ.
- شبكة العلوم والفكر والثقافة والرياضة؛ بما تتضمنه من مناهج ووسائل تعليمية، ومكتبات ثقافية، ومراكز بحثية، وإدارات معلوماتية.
- شبكة المؤسسات الدولية، كالأمم المتحدة، والفيفا.
- شبكة المؤسسات الإنسانية، كمؤسسات حقوق الإنسان، والهلال الأحمر، والصليب الأحمر، وأطباء بلا حدود، بل مؤسسات حقوق الحيوان أيضًا !! وسواها كثير.
- شبكة التحالفات السياسية والعسكرية: كالجامعة العربية، والاتحاد الأوروبي، وحلف الأطلسي (الناتو).
- شبكة ممرات الدعم الموصلة للمناطق الساخنة في فلسطين وأفغانستان، والعراق والشيشان، والفلبين وكشمير وغيرها.

- شبكة انتشار القوات الحربية في مختلف الأصقاع، في البر والبحر والجو، لمختلف الدول والتحالفات.

تلك إحدى عشرة شبكة ذات خيوط كثيفة تحوي كل منها عشرات الشبكات الفرعية المتداخلة في نسيجها، وتؤلف مجتمعةً أغلفةً متعددة الألوان والمواصفات تشرنق العالم أجمعه.

إن جميع تلك الشبكات ذات «صبغة بشرية علمانية» صرفة، ويعتبر المهيمنون على مدها، وبسطها لإحاطة أرجاء الأرض بها، أن من يريد تغيير أيّ منها، أو تعديل بعض مكوناتها أو أجزائها ليصبغها «بصبغة إسلامية»؛ فإنه يشكل خطرًا على التلاحم «الشبكي الدولي»، مما يعني أهمية وضرورة الاصطفاف العالمي لقمعه أو الإجهاز عليه.

إن التحدي الذي يواجهه الإسلاميون هو في كيفية التعامل مع شبكات أغلفة العالم!! هل يتناغمون معها ؟! هل يتغلغلون ضمن نسيجها، هل يتمردون عليها فيمزقون ما استطاعوا منها ؟! ثم في كل ذلك ما هي برامجهم وخططهم لمواجهة أولئك المهيمنين عليها؟

التحدي الثاني: القوى العالمية:

على أنقاض الحرب العالمية الثانية برزت قوتان رئيستان، هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، دارت بينهما حرب باردة (وأحيانًا ساخنة بالوكالة)، توقفت مع سقوط الشيوعية، وانحلال حلف وارسو، وخرجت الولايات المتحدة منتصرةً لتصبح القوةَ العالمية الوحيدة، ولتتفرغ تمامًا لمحاربة الإسلام؛ معتبرةً إياه العدو الرئيس الذي يهدد مصالحها ويحدّ من طموحها للسيطرة على العالم. هذا الطريق -وهو محاربة الإسلام- جمعها مع قوى أخرى ترمي إلى نفس الغاية، وإن خالفت الولايات المتحدة في الأهداف التي ترنو إلى الوصول إليها. فأصبح الإسلام في مواجهة «قوى عالمية» ذات إمكانات هائلة، ومن أبرزها:

- الولايات المتحدة الأمريكية.
- الاتحاد الأوروبي (٤٠ دولة).
- الكيان اليهودي في فلسطين.

- روسيا.
- الصين.
- اليابان.
- أستراليا.
- الهند.

إن جميع هذه القوى، وإن اختلفت فيما بينها، تجتمع على محاربة الإسلام، واعتباره عدوًّا لها. ويعني ذلك أنها في حالة استنفار دائم لتلبية متطلبات تلك المحاربة.

التحدي الثالث: التكتلات :

يعجّ العالم اليوم بمختلف أنواع التكتلات في كافة المجالات، لكن ما يهمنا منها ما هو موجه ضد الإسلام، أو ما يمكن توظيفه لمحاربة الإسلام، سواء بشكل مباشر أو ملتوٍ، أو بشكل ظاهر أو خفي. ومن أبرزها:

١) **التكتلات الاقتصادية**، ومنها: السوق الأوروبية المشتركة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، واتفاقية الجات، والبنوك العملاقة، والبورصات، وغيرها.

٢) **التكتلات العسكرية**، ومن أبرزها حلف الناتو، وقوات التحالف التي تحتل أفغانستان والعراق.

٣) **التكتلات الأممية**، ومن أبرزها منظمة الأمم المتحدة، والتي تهيمن أمريكا حاليًا على قراراتها، وتتخذ منها منطلقًا للوصول إلى غاياتها باسم الشرعية الدولية، لكن تنازعها السيطرة كل من فرنسا وألمانيا وروسيا والصين، وجميعها تتمتع بحق النقض (الفيتو)؛ مما عرقل استظلال الولايات المتحدة بها للحصول على قرار احتلال العراق، فتصرفت بمفردها، وحالفتها بريطانيا، وذلك خارج الشرعية الدولية التي طالما تمسحت بها.

٤) **مؤسسات العولمة**: وهي مؤسسات ذات طابع تكتلي، يسيطر اليهود والنصارى على دفات توجيهها، تتلخص أهدافها في فرض قوالب معدة مسبقًا، تحقق أطماع قوى الهيمنة العالمية من خلال مصادرة هويات وخصوصيات شعوب العالم، (وخاصة

العالم الإسلامي) لصالح نشر العلمنة فكرًا وثقافة وسلوكًا. وتوجد تكتلات أخرى ذات توجهات منوعة تغطّي كثيرًا من جوانب الأنشطة العلمانية، والتي توجّه سهامها المسمومة للإسلام.

التحدي الرابع: الإخضاع الشمولي القسري:

وهو إخضاع قسري للعالم الإسلامي تمارسه الدول الكبرى المعادية للإسلام، وذلك باسم محاربة الإرهاب، والدعوة إلى الديمقراطية والإصلاح، وتتزعم الولايات المتحدة هذه الجوقة، وتقوم بتسويق مخططاتها بأسماء شتى، من مثل: خارطة الطريق، أو الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية، أو مشروع الشرق الأوسط الكبير، وهلم جرّا.

إن تلك الدول المستكبرة لها وسائل عديدة للوصول إلى أهدافها القسرية، من أهمها:

١ - استخدام القوة العسكرية.

٢ - الهيمنة الاقتصادية.

٣ - الضغوط السياسية.

٤ - التغلغل الثقافي والسلوكي (وخاصة الاجتماعي).

٥ - سيف حقوق الإنسان.

٦ - تغذية ودعم الكيان اليهودي في فلسطين.

٧ - استدراج وتوظيف من يحقّق برامجها ويدور في فلكها.

إن الإخضاع الذي تريده تلك الدول يمكن أن نتلمس نماذج منه في كل من فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان، وكذلك في الدساتير البشرية التي تحتكم إليها معظم الدول الإسلامية، وأيضًا في مشاريع الإصلاح المطروحة في الساحة من المنظور اليهودي والنصراني باسم التحرر والحداثة والعلمنة.

التحدي الخامس: هشاشة الوضع الإسلامي ورثاثته:

إن المتمعن في حال الوضع الإسلامي يأخذه العجب مما آل إليه من الترهل والتهلهل، حتى أضحى هشًا ورثًا، وذلك على مستويات كثيرة، من أبرزها:

١- سوداوية الخطوط العريضة التي تختطها دُوَلُه، ومن أهمها: التبعية، الحظوظ الذاتية والمكاسب الشخصية لكثير ممن وُسِّد لهم الأمر، تغييب الشريعة عن الحكم، ضعف أو انعدام التنمية، ضعف استغلال الثروات القومية مع استئثار الغرب واستحواذه على ما استُغل منها، غياب الخطط الاستراتيجية لمحاكاة العصر، النظرة الاستعلائية إزاء الشعوب بما أدى إلى ضياع حقوقها وإيقاعها في مهاوي الاستبداد، عدم الاستجابة لمتطلبات نصرة الشعوب الإسلامية المستضعفة، وخاصة في فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان وغيرها.

٢- واقع الشعوب الإسلامية؛ حيث تتعرض للتجهيل بحَجْب التعليم عنها، والإفقار بحَجْب استفادتها من ثرواتها الوطنية، والإهمال بحجب الخدمات الأساسية عنها، من مثل ما يتعلق بالغذاء والصحة (علاج ودواء)، والكهرباء والهاتف والمياه، وتعبيد الطرقات والسكن والنقل وغيرها. كما تتعرض أيضًا إلى الإفساد بوسائل عدة من أهمها نشر الفنون الماجنة، وتتعرض كذلك إلى تكميم الأفواه؛ وذلك بمنعها من تشكيل النقابات والجمعيات والمؤسسات الشعبية، وبإحكام مراقبة المطبوعات، ويزيد على ذلك إبعادها عن المساهمة في السلطة، أو في اتخاذ القرارات التي ينبني عليها مصيرها.

٣- حال الجماعات والحركات الإسلامية؛ إذ يغلب عليها الغبش في الأفكار والتصورات والمفاهيم والمناهج، مع ضعفٍ ظاهرٍ في العلوم الشرعية، وفَقْر شديد في فقه الواقع، وعدم الجدية في الأخذ بأسباب خوض الصراع الحضاري مع أعداء الإسلام، مع اختلافٍ وفُرْقَة وتنابز وتدابر، فضلاً عما تتعرض له من تضييق وتجفيف للمنابع وإذلال وأغلال، بما أدى بها إلى الانخراط في سبل شتى، كثيرة الحفر، شديدة الالتواءات، فهي إما في ورطة أو تورط أو توريط !!

التحدي السادس: تآكل تميز شخصية المسلم:

أي تآكل اللبنة الأساسية التي هي مفردات تكوين بناء المجتمع المسلم. لقد اعتنى الإسلام أيما اعتناء بصياغة شخصية المسلم ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا صلبًا، قويًا، متماسكًا، عصيًا على عوامل الحتّ والإفناء. ولكن عندما انسلت هذه الشخصية من محضنها الإسلامي أضحت عرضة لكل ما من شأنه العمل على القضاء عليها. لقد

حصل هذا الانسلال على المستويات:

١ - العقدية.

٢ - السلوكية.

٣ - التعليمية والثقافية والفكرية.

٤ - الإنتاجية.

٥ - الجدية والالتزام.

٦ - الاجتماعية (وخاصة الأسرية).

٧ - الاقتصادية.

٨ - ضعف الوعي بقضايا الأمة.

٩ - اللامبالاة (أي ضعف -وأحيانًا انعدام- وجود ردّ فعل لما يكتنف العالم الإسلامي من إِحَن ومِحَن، كالتي تحدث في فلسطين وغيرها من بلاد الإسلام).

١٠ - الاستسلام للواقع وفقدان الإيجابية نحو المساهمة في إصلاحه.

تلك هي عشرة من أمهات التحديات التي يواجهها الإسلاميون المعاصرون.

مرامي التحديات:

إن التحديات الستة التي ذكرتها تهدف إلى تحقيق مرامي محددة، قريبة وبعيدة، ذات أبعاد تتسم بالاتساع والعمق معًا. ومن أهمها:

١ - إجهاض الأعمال الإسلامية الجماعية المنظمة، وتفكيك لُحمَتها.

٢ - تجفيف منابع العمل الإسلامي، سواء الفكرية (من حيث التصورات والأفكار)، أو الدعوية (من حيث العلماء والدعاة وطلبة العلم)، أو التعليمية (من حيث المناهج) أو المؤسساتية (من حيث المراكز الإسلامية، وأنشطة المساجد، والبنوك الإسلامية، وما في حكمها).

٣- القضاء على الجهاد الإسلامي الصحيح.

٤ - إقصاء أيّ إمكانية لتحكيم الشريعة الإسلامية.

٥ - تحطيم المرأة المسلمة، وتهميش أو إلغاء دورها الإيجابي، وخاصة الأُسَرِي، باسم الدفاع عن حقوقها وحرياتها.

٦- تكريس حالة التخلف في العالم الإسلامي لإبقائه في عربة الحاجة للغرب.

٧- وضع اليد بشكل مباشر على ثروات العالم الإسلامي، وخاصة البترول والغاز.

٨- الدعـم المفتوح لإقامـة أنظمة ديمقراطية علمانية في البلاد الإسـلامية. مع وضع الضوابط لعدم تمكين الإسلاميين من استغلال ذلك لصالحهم.

٩- تبديـد الآمـال في تقدم العالم الإسـلامي ليتبـوأ مكانة مرموقة فـي العالم، وذلك بوضع العراقيل أمام سعيه لرفع مستوى التنمية، أو الاستفادة من التقنية.

١٠- إحـداث الانقسـامات والانشـقاقات داخل العالم الإسـلامي؛ لتفتيـت كياناته السياسية، وإضعاف احتمالات لمّ شمله وإثبات ذاته.

مواجهة التحديات

سنتحدث عن ذلك من زاويتين: الأولى: منظورات التشخيص، الثانية: التعامل مع التحديات.

أولاً: منظورات التشخيص:

ولها أربعة أبعاد.

البعد الأول: العناصر الفعالة.

وهي كالتالي:

أ- أنظمة حاكمة (دول: جمهوريات، ملكيات، إمارات..).

ب - إسلاميون (جماعات، أحزاب، مؤسسات، طوائف..).

ج - تكتلات: قوميون، علمانيون، ليبراليون. (أحزاب، مؤسسات، أجناس).

د - أقليات دينية (نصارى ويهود وما يتبعهم من مؤسسات خاصة بهم).

هـ - أقليات إثنية (أكراد، تركمان، شركس، بربر، أشوريون..).

ويلحظ في هذه العناصر الفاعلة ما يلي:

١ - أن كل واحد منها له أجندة خاصة به بشأن النظر إلى تلك التحديات الستة. هذه الأجندة تمثل إطارًا عامًّا لكل عنصر. ثم في داخل كل عنصر توجد أجندات خاصة بكل مجموعة من مكوناته تحوي الدقائق التفصيلية المتعلقة برؤيتها لمواجهة التحديات المذكورة.

٢- هذه العناصر الخمسة تتصارع ضمن خطين:

الأول: خاص (أي داخلي). وهو التصارع بين المجموعات ضمن العنصر الواحد، حيث تريد كل مجموعة (حزب أو حركة أو جماعة أو مؤسسة) أن تتبوأ موقع «القيادة السائدة»، (أي السائدة على المخالفين في داخل العنصر الواحد)؛ لتكون هي المعبرة عن ذلك العنصر في التعامل مع التحديات المذكورة. وبالتالي فإن في أجندة كل مجموعة برنامجًا لمصارعة باقي المجموعات ضمن العنصر الواحد، إضافة إلى برامجها الخاصة للتعامل مع التحديات، (إن كان لها برامج !!).

الثاني: عامّ (أي خارجي)، وهو التصارع بين العناصر الخمسة نفسها، بمعنى أن لكل مجموعة في أيّ عنصر أجندة خاصة بها لمصارعة المجموعات في العناصر الأخرى، فضلاً عن أجندتها للتعامل مع التحديات المذكورة.

فإذا أمعنا النظر في فاعلية تلك العناصر من خلال الخطين المذكورين؛ فإننا سنجد أن طاقاتها الإيجابية مستهلَكة بشكل رئيس في صراعاتها الداخلية (أي في مجموعات العنصر الواحد)، والبينية (أي بين مجموعات العناصر) بما يعني انصرافها بشكل كبير عن التفرغ للتعامل مع التحديات.

البعد الثاني: المواقع على الخريطة الإسلامية:

إن إسقاطات التحديات المعاصرة ليست واحدة على جميع أجزاء الخريطة الإسلامية، بل هي متفاوتة، كلّ بحسبها.

كما أن زاوية نظر الإسلاميين لهذه التحديات ليست واحدة، بل هي متفاوتة بحسب موقعها على الخريطة الإسلامية.

وانطلاقًا من ذلك، فإنه بإمكاننا الإشارة إلى أهم المواقع كالتالي:

أ - مواقع جهاد، مثل فلسطين وأفغانستان، والعراق وكشمير، والشيشان والفلبين، والصومال والسودان (منطقة الجنوب، وقد تم أخيرًا توقيع اتفاق سلام لا نعلم ما مدى صموده).

ب - مواقع مواجهة مع الكيان اليهودي، وهي سوريا ولبنان، ومصر والأردن. (علمًا أن مصر والأردن وقعتا اتفاقيتي سلام مع الكيان اليهودي الإرهابي).

ج - مواقع اضطراب، مثل الخليج، إندونيسيا، الجزائر، باكستان، تركيا، إيران، كما أن الدول التي أشرت إليها في «مواقع الجهاد» هي أيضًا مواقع اضطراب في نفس الوقت.

د - مواقع هدوء نسبي، كباقي الدول الإسلامية التي لم يأتي ذكرها في (أ) و (ب) و (ج).

هـ - مواقع نفوذ روسي، كالجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفييتي، ونفوذ غربي كالبوسنة وكوسوفا. (أعلنت استقلالها في ١٧/ ٢/ ٢٠٠٨م، ولا يزال الاعتراف بها موضع شدّ وجذب على مستوى الدول الكبرى).

و - مواقع متفرقة ومنتشرة في جميع أنحاء العالم تقطنها جاليات إسلامية.

فبحسب كل موقع من تلك المواقع، فإن التحديات المنظورة وطرق مجابهتها هي

موضع اجتهاد لمن كان في ذلك الموقع، ولكل منهم أجندته الخاصة به، بحسب مرئياته ومكانه من ذلك الموقع. وربما يقع التراشق بين الإسلاميين؛ لأن كلاً منهم يرى من زاويته ما لا يراه الآخرون، فيطلب كل منهم من الآخر أن يتصرف بمثل تصرفه، فإن لم يفعل خطَّأه.

البعد الثالث: الإمكانات واستعمالها:

إن مواجهة التحديات المعاصرة يعتمد، في وجه من وجوهه، على الإمكانات وطرق استعمالها وتوظيفها والاستفادة منها. وهي نوعان:

١ - إمكانات متاحة، أي تحت اليد.

٢ - إمكانات مأمولة، أي ينبغي أن يُخطَّط لإيجادها.

ولا بد من تنزيل هذين النوعين على المناهج والبرامج والمشاريع المتعلقة بمفردات ما ذكرناه من «العناصر الفعالة» و «الموقع على الخريطة الإسلامية».

وتتشكل خريطة «مواجهة التحديات» وخريطة «الصراع» بحسب استعمال «العناصر الفعالة» و«موقعها على الخريطة الإسلامية» لـ «الإمكانات».

البعد الرابع: الاستقطاب الجماهيري :

وهو مهم جدًّا في إطار منظورات التشخيص، وننظر إليه من ثلاثة وجوه:

الأول : قوة المرجعية التي لدى كل عنصر، سواء كانت المرجعية منهجًا عقديًّا أو قيادات توجيهية.

الثاني : حرص كل مجموعة في كل عنصر على زيادة الالتفاف الجماهيري حولها وتضخيم زخمه؛ لتستمد منه أقصى ما يمكن من الدعم المادي والمعنوي.

الثالث: الساحة الجماهيرية؛ حيث ستكون مواقع استقطاب لصالح كل مجموعة في كل عنصر، مما يؤدي إلى شرذمتها وتواجهها مع بعضها في إطار يستنفد الإمكانات بأنواعها، وهذا يؤدي إلى إضعاف مواجهة التحديات فيما يخصّ الإسلاميين، وتغيير معادلة التعامل مع التحديات فيما يخص سواهم (مما ذكرنا في العناصر الفعالة).

ثانيًا: التعامل مع التحديات:

سيكون حديثنا عن التعامل مع التحديات من خلال ثلاثة عناوين: المعنيون، الأهداف، الوسائل.

(١) المعنيون:

هل نقصر الكلام على تعامل الإسلاميين مع التحديات؟

الجواب:

١) الإسلاميون هم المعنيون أولاً بهذا المبحث.

٢) غيرهم، (أي من العناصر الفعالة):

أ - يُستفاد -في خضم الصراع- من إيجابياتهم وتُتَّقَى سلبياتهم.

ب - يُحَيَّد غيرُ المعادي منهم، مع محاولة استعادته للصف.

ج - اللامبالون بالوضع الإسلامي يشكِّلون الأغلبية في الشعوب الإسلامية، فينبغي توعيتهم.

د - معادون للإسلام، منهم سرًّا ومنهم علنًا، فيجب اتقاؤهم.

سيكون كلامنا مقتصرًا في التعامل مع التحديات على «الإسلاميين» فقط دون «غيرهم».

(٢) أهداف التعامل مع التحديات:

بناء على ما ذكرته من أنواع التحديات؛ فإن أهداف التعامل معها هي:

١) اختراق الأغلفة (وذلك بتفكيك النسيج إلى مفردات خيوطه، ثم التعامل إسلاميًّا مع تلك المفردات بذاتها، أو باجتماع بعضها أو كلها).

٢) تفريق اجتماع «القوى العالمية» على حرب الإسلام.

٣) التعامل مع التكتلات، إما توظيفًا أو تحييدًا أو مجابهة، -كلٌّ بحسبه-.

٤) التمرد على الإخضاع القسري.

٥) معالجة الوضع الإسلامي (تتضمن المعالجة: الإصلاح أو التغيير، وذلك بحسب الحالة المعنية).

٦) إعادة بناء الشخصية الإسلامية.

فتلك ستة أهداف تُقابِل ستة تحديات.

(٣) الوسائل:

تتضمن الوسائل بندين رئيسين:

الأول: المنهج.

الثاني: الطاقات (الإمكانات).

أما المنهج فسأُفرده بعنوان خاص.

وأما الطاقات، فهي كثيرة جدًّا لكنها غير مستغلَّة. وتتضمن:

١ - العلماء والدعاة وطلبة العلم، إضافة إلى المفكرين والباحثين والمنظّرين والمهنيين والعاملين ومن في حكمهم.

٢ - المراكز الدعوية الإسلامية.

٣ - مراكز الأبحاث والدراسات الإسلامية.

٤ - اللجان الخيرية.

٥ - المؤسسات والشركات والبنوك الإسلامية.

٦ - التجار وأهل الخير.

٧ - العلاقات الاجتماعية.

منهج الإسلاميين في مواجهة التحديات:

الكلام على المنهج هو ضمن الوسائل، كما بينت سابقًا.

وهو يقسم إلى قسمين:

١ - شرعي.

٢ - حركي.

أما المنهج الشرعي، فجميع الإسلاميين متفقون على أنه الكتاب والسنة والإجماع.

لكن وقع الخلاف في طريق المزاوجة بين الكتاب والسنة فهمًا من جهة، وبين الحركة بهما في طريقة معالجة الواقع من جهة ثانية.

ونتج عن ذلك مدرستان:

الأولى: مدرسة المعالجة الجهادية.

الثانية: مدرسة المعالجة السلمية.

وتمثل المدرستان وجهتي نظر للتعامل مع التحديات.

وأسجل الملاحظات التالية بشأنهما قبل التقدم خطوة أخرى في البحث:

١ - انخرط الإسلاميون، جماعات وأفرادًا، في إحدى هاتين المدرستين، إما انتظامًا أو تأييدًا.

٢ - يلاحظ أن الانتقال من مدرسة إلى أخرى هو في اتجاه واحد غالبًا، وهو من مدرسة المعالجة السلمية إلى مدرسة المعالجة الجهادية، وربما يحدث العكس، ولكن بشكل قليل.

٣ - المدرسة الجهادية - من حيث الجملة - تعتبر المدرسة السلمية متخلفة عن متطلبات المواجهة والصراع والتحدي، ورغم ذلك فإنها تعتبر بعض مساحة المدرسة السلمية بمثابة رافد لها وعمق وخط خلفي (عند الحاجة).

٤ - تعتمد المدرسة الجهادية منهج التغيير بالقوة في كافة إعداداتها، وليس منهج التدرج والإصلاح.

٥ - مدرسة المعالجة السلمية قسمان رئيسان:

القسم الأول: قسم يرى الرضا بالواقع، ويدع التعامل معه سلبًا أو إيجابًا لأصحاب الشأن وليس له باع في مواجهة التحديات المذكورة. وتعتبر هذه المدرسة عبئًا على العمل الإسلامي؛ من حيث كونها امتدادًا عصريًا للمدرسة الإرجائية القديمة، ولكن لا يُنكَر أن لبعض أفرادها جهودًا علمية في بعض أصول العلوم الشرعية، غير أن أنشطتها الحركية منصبّة غالبًا في عرقلة الجهود الدعوية للإسلاميين الآخرين، وفي تبرير بعض أفعال أعداء الإسلام، وأحيانًا تأييدها أو دعمها مع الابتهاج بذلك !!

القسم الثاني: ويضم توجهين:

التوجه الأول: يرى التصدي للتحديات من خلال الإصلاح، دون الإخلال بالنظام العام.

التوجـه الثاني: يرى التصدي للتحديات من خلال التغيير، إما بتغيير واقع النظام العام سـلميًّا، وإما بتهيئة ما يجعله مرغمًا على الاستجابة للمنهج الإسلامي مع المحافظة على موقعه؛ حيث يقوم هو بإحداث ما يلزم من متطلبات التغيير. (وأرى أن هذا الخيار مستبعَد الحدوث من حيث الواقع، والله تعالى أعلم).

ويـرى أصحاب التغيير أن القسـم الأول من المدرسـة السـلمية (الإصـلاح) ليس له فاعلية تسـتحق الذكر، وأن المدرسـة السـلمية الإصلاحية قد أخـذت حظها من الزمن، ولـم تصل إلى شـيء ضاغط ومؤثر. وترى أن سـلوك الإصلاح من خـلال الديمقراطية (انتخابـات وبرلمانات) مخالف للمنهج الإسـلامي ومضادّ له، فضـلاً عن كونه مضيعة للوقت والجهد والمال، وأن جميع تجارب الإسـلاميين الديمقراطيين فشلت في تحقيق ما يريده الإسلام.

المدارس المؤثرة:

تبين لنا مما ذكرنا أن المدارس الدعوية الإسلامية المؤثرة بفاعلية في ساحات التحدي مدرستان:

١ - المدرسة الجهادية.

٢ - المدرسة السلمية التغييرية.

وبين هاتين المدرستين توجد قواسم مشتركة، من أبرزها:

١) عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢) الامتثال للواجبات والسنن.

٣) رفض الاستبداد والفساد (محليًّا أو إقليميًّا أو عالميًّا).

٤) الاتفاق على مبدأ مواجهة التحديات الستة، لكن كلّ بحسَب منهاجه وأجندته.

٥) حشد القوى لصالح مواجهة التحديات والتصارع معها.

٦) الاستعداد لقبول التضحيات ومشاقّ مراحل الصراع ومواجهة التحديات.

٧) الهدف النهائي هو استظلال أهل الأرض قاطبة بمظلة الإسلام.

المدارس الإسلامية ومواجهة التحديات

حديثنا هنا عن المدرستين المؤثرتين، وهما المدرسة الجهادية والمدرسة السلمية التغييرية.

أولاً: المدرسة الجهادية:

هي في الواقع مدرستان، الأولى مدرسة معارضة النظام الحاكم بالقوة (الجهاديون، بحسب ما يسمون أنفسهم)، والثانية هي مدرسة جهاد الدفع. وسأتكلم عن كلا المدرستين باختصار بما يناسبهما.

مدرسة المعارضة بالقوة:

هي مدرسة برزت على الساحة الإسلامية بشكل مؤثر منذ حوالي ربع قرن. وتكاد تكون أسباب ظهورها وسماتها ومواقفها من التحديات المذكورة واحدة أو متطابقة جدًّا. وسأذكرها على النحو التالي:

أسباب ظهورها:

يمكننا إجمال أسباب ظهورها فيما يلي:

١ - التناقض الذي تشعر به بين آمالها في قيام حكم إسلامي بصبغة الخلافة الراشدة، وبين ما تراه وتعايشه من بون شاسع بين تلك الآمال والواقع.

٢ - الاحتقان المتعاظم الذي نشأ عن ذلك الشعور.

٣ - عدم وجود قنوات تنفيسية لذلك الاحتقان.

٤ - وجود الواقع الذي يغذيه ويفاقم تراكمه، ومن أبرز مظاهره استبعاد الحكم بالشريعة والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي والفساد الأخلاقي.

٥ - فشوّ الجهل بالأحكام الشرعية في عموم الشعوب الإسلامية.

٦ - الآثار القاسية للتسلط اليهودي في فلسطين، والدعم الأمريكي الذي يؤيده ويسانده، مع ما يراه المسلمون عبر الفضائيات من صور مأساوية يعاني منها الشعب الفلسطيني في

الأرض المباركة، هذا فضلاً عن الاحتلال النصراني (باسم قوات التحالف) لأفغانستان والعراق، مع ما يرافق ذلك من سكوت مطبق من الدول الإسلامية ذات الشأن.

٧ - الأساليب الشديدة التي يقابَلون بها.

٨ - سدّ أبواب التحاقهم بساحات جهادية خارج أقطارهم.

٩ - التواضع الشديد في إحاطتهم بالعلوم الشرعية، وعدم صدورهم -في تحركاتهم- عن مرجعيات إسلامية واعية توجّههم وتُفتِيهم.

١٠ - عدم تمكن المدرسة السلمية التغييرية من استيعابهم، أو تحجيمهم أو احتوائهم، أو كفّهم عن ممارستهم.

١١ - وجود بيئة، أو بيئات، تتنامى فيها مساحات الجهل والفقر والمرض، وسوء الخدمات، رغم وجود الثروات في بلادهم.

تعاملها مع التحديات:

سأذكر تعامل هذه المدرسة مع التحديات بحسب تسلسل التحديات الستة التي أوردتها في أول المبحث. وذلك على النحو التالي:

١ - تسعى لتمزيق خطوط وأنسجة الأغلفة التي تمرّ في بلدها، وذلك باستعمال القوة، لكنها لم تتمكن من تحقيق ما تسعى إليه ولا بعضه.

٢ - لا تحسب حسابًا للقوى العالمية، أي كأنها غير موجودة.

٣ - لا تكترث بالتكتلات، لا من حيث وجودها، ولا من حيث إيجاد تكتلات موازية.

٤ - تعاملها مع الإخضاع القسري يمر عبر المواجهة مع السلطات. ومن حيث الواقع لا فاعلية إيجابية مؤثرة له.

٥ - لا توجد لديها خطط منهجية للتعامل مع الوضع الإسلامي، وربما استعملت عنف القنابل والرصاص للتعامل مع بعض أجزائه. وتسعى لإسقاط النظام الحاكم بالقوة (كما حصل في سوريا ومصر والجزائر وغيرها)، وهي منقسمة في داخلها، فمنهم من يكفّر الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة بعينه دون من هو دونه، ومنهم من يكفر الحاكم ووزراءه وجيشه ورجال أمنه، ومنهم من يضيف إلى ذلك تكفير موظفي الدولة بجملتهم، ومنهم

من يكفّر إضافة إلى ذلك عامة المسلمين، وربما تقاتلوا فيما بينهم بسبب هذا الانقسام والتقسيم، ثم إن هذه المدرسة تعتبر المدرسة السلمية التغييرية من جملة المعوقات لحركتها (في أكثر الأحيان) وتصفهم بالمهادنين.

٦ - تصوغ أفرادها على مبدأ التضحية والفداء والاستشهاد، بغض النظر عن النتائج وآثارها.

إن هذه المدرسة تشكل عبئًا حقيقيًا على عموم العمل الإسلامي، وتعتبر من معوقات تأثيراته في مجمل الساحات الدعوية على مستوى المسرح العالمي ككل.

مدرسة جهاد الدفع:

بسبب الانهزام العام الذي تعيشه أمة الإسلام في زمننا المعاصر؛ فإن ما اصطلح عليه بجهاد الطلب، وهو جهاد الدعوة، قد أصبح مجرد مشاهد تاريخية تعبق رائحتها بين طيات الكتب. فلم يبق لها الآن إلا ما تعبر عنه مدرسة جهاد الدفع.

أسباب ظهورها:

أُجمِلها فيما يلي:

١ - هي رد فعل إسلامي طبيعي للاحتلال الأجنبي الذي بسط نفوذه، ونشر قواته في بعض البلاد الإسلامية كأفغانستان والعراق وغيرها. ومعلوم في الشرع الإسلامي أن جهاد الدفع فرض على كل من يستطيع مجاهدة العدو المحتل، من الرجال والنساء، وحتى الأطفال إن استطاعوا -أي كما يفعل ما أطلق عليهم في فلسطين بأطفال الحجارة- ويبقى هذا الفرض مستمرًا إلى حين إلحاق الهزيمة بالمحتل وطرده من البلاد، فإن لم تفِ أعداد المجاهدين في البلد المحتل بما يلزم لإخراج العدو وهزيمته، وجب على كافة المسلمين إمدادهم بالمجاهدين ويعُدّة الجهاد الأقرب فالأقرب.

٢ - هي تعبير شرعي عن رفض استمرار الخضوع للاحتقان الناجم عن مصادرة الجهاد الذي هو رأس سنام الإسلام والمعبر عن نبض الأمة (أي عن وجود الحياة فيها).

سماتها:

هذه المدرسة تتسم بسمات تميزها. من أبرزها:

١ - أن المنطلق الشرعي لهذه المدرسة مؤطر فقهيًا بما اصطلح عليه بـ «جهاد الدفع». وله رصيده من الأدلة الشرعية في الكتاب والسنة، وتهتم هذه المدرسة بالدراسات الشرعية، وخاصة فيما يتعلق بالجهاد، وتهتم أيضًا بالدراسات الخاصة بفقه الواقع، كما يوجد في بعض ساحات الجهاد علماء شرعيون مجاهدون، ولهم دور كبير في توجيه دفة تلك المدارس الجهادية بحسب مواقعها.

٢ - حافظت بعض فصائلها على مدافعة العدو ضمن دائرة البلد التي احتلتها، مثل:

فلسطين: الاحتلال اليهودي.

أفغانستان: الاحتلال الروسي، ثم الأمريكي والغربي (نصراني).

الشيشان: الاحتلال الروسي (نصراني).

العراق: الاحتلال العالمي (القوات الأمريكية وقوات التحالف المكونة من حوالي أربعين دولة) ومعظمها نصرانية.

الفلبين: الاحتلال الغربي (نصراني).

كشمير: الاحتلال الهندي (هندوسي).

الصومال: الاحتلال الإثيوبي (نصراني).

تايلند: الاحتلال لجنوب تايلند (بوذي).

٣ - رأت بعض الفصائل الجهادية أن موقع النزال ليس مقتصرًا على البلاد الإسلامية المحتلة طالما العدو له شرايين إمدادية (لوجستية) عبر بقاع العالم؛ لذا فإن «ساحة الدفع» عندهم تتسع لتشمل عقر داره، وقواعد انطلاقه وشرايين إمدادته، وسأسمي هؤلاء مجموعة «ساحة الدفع الموسعة»، وسأسمي الآخرين مجموعة «ساحة الدفع المحدودة».

٤ - يلاحظ أن جميع الأديان -ممثلة في دول- قد ساهمت في احتلال البلاد الإسلامية المذكورة، وهم اليهود والنصارى والهندوس والبوذيون (تايلند).

وبالتالي فإن المجهود الجهادي مؤطر في قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ

كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ (التوبة: ٣٦).

٥ - في إطار هذه المدرسة الجهادية يتم تبادل التأييد والتواصل -بقدر الإمكان- بين جميع المواقع الجهادية والفصائل المقاتلة.

٦ - من اللافت للنظر أن هذه المدرسة الجهادية تعتبر أن ما تقوم به مجموعات الجهاديين ضد حكوماتهم هو تمهيد لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، فهي مؤيدة له ضمنًا، وأحيانًا علنًا.

٧ - المدرسة الجهادية تعتبر المدرسة السلمية التغييرية بمثابة عمق لها، وخاصة في «المنتج الدعوي الفكري» و «العمل الخيري» و«الدعم المادي» إن وُجد !!

٨ - تقييم هذه المدرسة لـ«فقه الواقع» و «طريقة التعامل معه» يتداخل مع تقييم المدرسة السلمية التغييرية له في مواضع «اتفاق» ومواضع «اختلاف».

٩ - تعتبر مجموعات ساحة الدفع الموسع أن ما تقوم به المواقع الجهادية في ساحة الدفع المحدودة محققًا لبعض تطلعاتها؛ لذا فهي تبذل لهم كل أنواع الدعم الممكن.

١٠ - بعض مجموعات جهاد الدفع لديها انحراف واضح في منهجية المواجهة، فهي قد توجه سلاحها إلى الإسلاميين الآخرين الذين لا ينخرطون في صفوفها، كما أنها ربما استخدمت شعار «الغاية تبرر الواسطة» بعد أن تُضفِي عليه مسمًّى شرعيًّا اصطلاحيًّا وهو التترس، كما أنها تستخدم القتل العشوائي عن طريق السيارات المفخخة، أو الأحزمة الناسفة مما يُودِي بحياة كثير من الأبرياء.

مواجهتها للتحديات :

نستطيع إجمال مواجهة المدرسة الجهادية للتحديات الستة التي ذكرناها بما يلي:

١ - ترمي هذه المدرسة إلى تمزيق نسيج الأغلفة (التحدي الأول) الذي يشرنق العالم -بما فيه العالم الإسلامي-، مع محاولة تطويع بعض خيوط ذلك النسيج لصالحها. لكنها إلى الآن لم تخرج في ذلك عن الحدود النظرية لفقدانها مقومات وإمكانات «تمزيق» النسيج المذكور أو «أسلمته»؛ حيث إن «طواقمها» في «ساحات الجهاد المحدودة» ذات نسيج جهادي فحسب، ويفتقر إلى الاختصاصات التي ينبني عليها كيان الدولة، والتي من أهمها ما يغطي احتياجات الاقتصاد والتعليم والصحة والخدمات المنوعة. وعندما وصلت «مجموعة إسلامية» إلى

السلطة في أفغانستان، وهي مفتقرة إلى الطواقم المذكورة، لم تتمكن من تمزيق نسيج الأغلفة، بل أطبق عليها فخنقها وشرذمها وأزالها عن السلطة.

٢ - إن تعامل هذه المدرسة مع القوى العالمية (التحدي الثاني) يعتمد على المصادمة المباشرة، محليًا بالنسبة لمدرسة المدافعة المحدودة، وعالميًا بالنسبة لمدرسة المدافعة الموسعة، والحال في ذلك «سجال»، غير أن مدرسة المدافعة المحدودة تمكنت إلى الآن من تكبيد قوات الاحتلال في مختلف البقاع الإسلامية خسائر فادحة.

وأما مدرسة المدافعة الموسعة فهي لا تزال في مركز قوة تثير بها الرعب في أمريكا وحلفائها.

٣ - إن تعامل المدرسة الجهادية مع التكتلات (التحدي الثالث) مبني على الرفض، سواء على المستوى الاقتصادي أو العسكري أو الأمني أو العولمي، لكن لها تسللات في بُنَى بعض تلك التكتلات بحسب الحاجة، لكن نطاقها ضيق جدًّا، ولا تتعدى التكتلات المالية كالمساهمة في بعض البنوك والبورصات.

٤ - تستعلي هذه المدرسة على الانصياع للإخضاع القسري (التحدي الرابع). وتعتبر أن جهاد الدفع هو التعبير الواقعي لهذا الاستعلاء ورفض الانصياع.

٥ - تعتبر هذه المدرسة أن هشاشة الوضع الإسلامي في بلادها (التحدي الخامس) ليس له علاج إلا الجهاد، والذي به ترنو الوصول إلى السلطة، ومن خلالها (السلطة) ستباشر البناء على كافة المستويات العقدية والعلمية والخدماتية، وذلك ضمن خطط استراتيجية للتنمية. لكن تجربة المجموعة الإسلامية التي وصلت إلى السلطة في أفغانستان أجهضت تحقيق هذه الفكرة، وذلك لعدم نضوج فهمها لمتطلبات القيام بها لدى المسئولين الجهاديين.

٦ - تعتبر المدرسة الجهادية أن تآكل الشخصية الإسلامية (التحدي السادس) هو محصلة طبيعية لترك الجهاد، وأن الالتحاق بساحات التدريب والرباط والجهاد هو العلاج الناجع لإعادة بناء الشخصية الإسلامية، والحد من استمرار تآكلها، وهي نظرة قاصرة؛ لأنها تعالج جانبًا واحدًا من تآكل الشخصية الإسلامية، ثم إن هذه المدرسة تفتقر حقيقةً إلى الإمكانات اللازمة لاحتواء الأعداد الكبيرة التي تأمل أن تلتحق بها، فضلاً

عن افتقارها للمؤسسات الهامة (كالمدارس والمستشفيات والمصانع والتكنولوجيا) التي تساعد على ذلك، كما أن المحاضن الاجتماعية لا تتوفر بالشكل المطلوب لإعداد بيئة ذات تجمع سكاني (كالمدن)، وإن إيجادها في أحضان ساحات المواجهات غير ممكن.

التتيجة: بناء على ما ذكرته في البنود الستة؛ فإن مدرسة جهاد الدفع، بواقعها الحالي، غير قادرة على تخطي تلك التحديات. إن أقصى ما تصبو إليه الآن هو المحافظة على حالة «البقاء» وتطويرها، ريثما تستجد ظروف أخرى. ولكن من إيجابياتها الكبرى هو «إبقاء نبض الأمة» بمواصلة الجهاد؛ لأنه أحد المسارب الرئيسة في استبقاء مسار نفخ الروح فيها.

ثانيًا: المدرسة السلمية التغييرية:

سنعرض لأسباب ظهور هذه المدرسة وأهم سماتها، ثم موقفها من التحديات الستة المعاصرة.

أسباب ظهورها:

أوجز أسباب ظهورها في النقاط التالية:

١ - هي نتاج طبيعي لوجود عناصر دعوية رأت أن لها ملاحظات منهجية مهمة على المدرسة الإسلامية الإصلاحية، ومن بينها وأهمها أن سقفها الإصلاحي لا يفي بمتطلبات ضروريات الإسلام واحتياجاته، والتي من أبرزها الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية بشكل شمولي غير مجزأ، فتجاوزتها بأن رفعت السقف إلى مستوى التغيير مرورًا بالإصلاح وليس وقوفًا عنده.

٢ - إن كثيرًا من الحركات الإسلامية المعاصرة، والتي هي ذات طابع إصلاحي لديها كمّ كبير من الغبش في العقيدة والمفاهيم والممارسة، إضافة إلى فشلها الذريع في تلبية احتياجات الإسلام للمشاريع الدعوية المنوعة. فرأت أن لا بد من تلافي ذلك.

٣ - حاجة المسلمين إلى «التجديد»؛ إذ هي مدرسة تجديدية في جوهرها.

٤ - أهمية لملمة المتناثر من أصحاب العقيدة السليمة والممارسة الدعوية الصحيحة في

بوتقة دعوية على مستوى العصر، وذلك في بوتقات منوعة، من أبرزها المؤسسات بكافة اختصاصاتها.

٥ - ضرورة صياغة أوضاع دعوية تضطلع بمهمة نشر الإسلام على مستوى العالم. بما يتضمنه ذلك من التصدي السلمي للمعوقات على كافة المستويات.

سماتها:

تتسم هذه المدرسة بسمات بارزة، من أهمها:

١ - تميزها بالانتشار سواء على مستوى الجماعات، أو الأفراد أو المؤسسات، أو البلدان في كل القارات.

٢ - نظرتها «شاملة» فيما يخص العالم (مساحة ومكونات)، لكنها تتميز «بالخصوصية» في الأسلوب بحسب المكان والزمان، أي بحسب الأقطار والفترات الوقتية.

٣ - تتبع في كل ذلك الأساليب الدعوية السلمية فيما يخص حركتها الذاتية.

٤ - استراتيجيتها التغييرية طويلة المدى، لكنها في كل مكان وحين متقيدة بالالتزام بالكتاب والسنة.

٥ - تؤيد الجهاد (من حيث العموم)، وتدعمه إن استطاعت، وتعتبر أن جهاد الدفع في الساحات الجهادية المحدودة مشروعًا، وهو الأسلوب المناسب فيها، فلا بد من الوقوف معه وتأييده، وأن تلك الساحات يمكن اعتبارها محضنًا مناسبًا لمن يريد أن يجاهد، فهي من هذا الوجه ملاذًا تنفيسيًا للطاقات المكتنزة بعاطفة الجهاد، ولا تجد متنفسًا صحيحًا لها.

٦ - تعتبر هذه المدرسة أن مجموعات المعارضة الإسلامية المسلحة، في غير البلدان الإسلامية المحتلة، تشكل معوقًا كبيرًا لأنشطتها الدعوية كافة؛ لأنها تثير السلطات ضد العمل الدعوي ككل، مما يعرقل برامجها ويؤخر مسيرتها، ويقلّص نشاط دعاتها، وترى أن الحوار معها بقصد النصيحة والبيان فيه فوائد جمة.

٧ - لا مانع لديها من التنسيق مع المدرسة الإسلامية الإصلاحية، فيما ترى أنه منضبط بالكتاب والسنة؛ لأنها تعتبر أن الإصلاح مقدمة لا بد منها للتغيير.

٨ - تعتبر أن كل عمل يخدم الإسلام -بشكل صحيح في أيّ مكان في العالم- منصبّ في مشروعها الدعوي التغييري، وينبغي دعمه والاستفادة منه.

تعاملها مع التحديات:

كيف تتعامل هذه المدرسة السلمية التغييرية مع التحديات الستة المعاصرة ؟!

سأذكر ذلك باختصار شديد على النحو التالي:

١ - إيجاد وسائل للخروج من شرنقة الأغلفة (التحدي الأول)، وذلك عن طريقين:

الأول: إحداث شقوق في نسيج الأغلفة، أي التغلغل الوظيفي في مؤسسات صانعي الأغلفة، ومزاولة الأعمال التغييرية في نفس النسيج.

الثاني: تسريب أنسجة إسلامية في بنية «الأغلفة» وطبقاتها.

(مثل: قنوات فضائية، بنوك إسلامية، مدارس وجامعات إسلامية، صحافة ومجلات إسلامية، كتب ومؤلفات ودراسات وبحوث إسلامية، مؤسسات إعلامية إسلامية، لجان خيرية إسلامية... إلخ).

٢ - مشروع الوصول إلى النِّدِّية في الصراع مع القوى العالمية (التحدي الثاني) غير مطروح في المرحلة الراهنة لدى هذه المدرسة، لكنه ضمن استراتيجيتها في حالة تبني دولة إسلامية كبرى للإسلام، باعتباره صبغة ربانية للحياة البشرية، وتكون علاقتها ونديتها مع دول العالم من هذا المنطلق.

٣ - تسعى هذه المدرسة إلى التغلغل في بنى بعض التكتلات (التحدي الثالث)، غير أن ذلك بحاجة إلى فقه معمق، وخاصة فيما يخص التكتلات الأممية. ورغم ما تقوم به هذه المدرسة من سعي في هذا الاتجاه؛ إلا أنها لن تتمكن من ذلك إلا بشكل جزئي؛ لأن بعض التكتلات لا يمكن التعامل معها إلا من خلال دول.

ورغم أن السعي المذكور مطلوب من المدرسة السلمية التغييرية إيجاده إلا أنه لا يبدو أنها تفكر الآن في ذلك بمنهجية علمية.

٤ - تتعامل المدرسة الإسلامية التغييرية مع الإخضاع القسري (التحدي الرابع) من مبدأ الرفض الكامل له، غير أن مشاريعها العملية ليست على مستوى الخروج من شبكة هذا الإخضاع أو حتى تعويقه، فضلاً عن إيقافه. وأما بخصوص سقوف الإخضاع في المناطق الجهادية الساخنة؛ فإن هذه المدرسة لا تتجاوز بالجملة مرحلة الدعم والتأييد للمجاهدين، لكنها لا تملك كفّ سياط الإخضاع عنها.

٥ - تجابه هذه المدرسة السلمية التغييرية الوضع الإسلامي وهشاشته ورثاثته (التحدي الخامس) من خلال مشـاريعها الخاصة التي ترمي بواسطتها الوصول إلى مرحلة التغيير بعـد المرور عبر طريق الإصـلاح، ويتناول ذلك جميع مكونات الوضع الإسـلامي التي ذكرناها سابقًا، غير أن هذه المجابهة دون مستوى التحدي بكثير.

٦ - تآكل وضعف الشـخصية الإسلامية هو التحدي السادس، وتحاول هذه المدرسة من خلال «التربية الخاصة» في إطار العمل الجماعي إيجاد شـخصيات إسلامية متميزة، تكون بمثابة القدوة لغيرها على مسـتوى العقيدة والفكر والممارسـة، ولعلها نجحت في ذلك نسـبيًا في بعض البلدان الإسـلامية، وتحاول من خـلال «الدعوة العامة» و «التوجيه المنوع» إيجاد صبغة إسـلامية في عموم الشخصية الإسلامية التي صبغها الوافد المعادي للإسـلام بصبغتـه. ولعلهـا قد خطت خطـوات لا بأس بها فـي هذا الاتجـاه، لكن دون وصولها إلى أهدافها مفاوز عظيمة.

خلاصة تقييمية

بعـد هذه الدراسـة يمكننا إجمـال وضع الإسـلاميين إزاء التحديات السـتة المعاصرة كالتالي:

الجهة	مجمل الموقف من التحديات
الراضون بالواقع	ضعيف جدًّا
المعارضة المسلحة	ضعيف جدًّا
مدرسة جهاد الدفع (محليًّا أو عالميًّا)	محدود
المدرسة السلمية التغييرية	محدود (لكن فيه شيء من الشمولية)

النتيجة العامة

إن الحالة الإسلامية الحالية (والإسلاميون جزء منها) في موقف ضعيف جدًّا. ولذا فهي فرصة تاريخية عرف أعداء الإسلام كيف يستغلونها.

المطلوب:

لا شك أن النتيجة العامة التي وصلنا إليها غير سارة، لكن الطبيب لا يجوز له أن يغالط نفسه عندما يشخِّص المرض، فعليه أن يتقبل نتيجة التشخيص بقلب ثابت ليتمكن من بدء مرحلة العلاج بشكل موضوعي وصحيح.

فبعد أن تبين لنا الواقع، فإنني أود ذكر أهم ما هو مطلوب، وذلك بشكل عناوين، وهي كالتالي:

١) المحافظة على إشراقة الأمل بأن الله تعالى سيغيّر حال الأمة لتوافي قَدَره بنصرها.

٢) الوعي الشمولي.

٣) العلماء الربانيون والدعاة المخلصون والمتخصصون المتقنون.

٤) إصلاح الذات (العودة إلى الله والتقوى بمفهومها الشامل).

٥) الحوار البناء والهادف بين الإسلاميين، مع الحرص على توحيد الكلمة ورصّ الصفوف.

٦) مواجهة التحديات بمنهاج عمل واقعي (المؤسسات من أبرزها).

٧) تحرير المفاهيم الأساسية في العقيدة والحركة بها (مثل الولاء والبراء، والحاكمية، وأنواع الجهاد، والحب في الله والبغض فيه...).

فتلك سبعة مقترحات عامة، أرى أن حركة الإسلاميين لا تأخذ منحاها الإيجابي إلا بها، والله تعالى أعلم.

الفصل الثاني

التحدي الأمريكي والتصدي العالمي لأخطاره

إذا تعاطى صاحب العقل المميز الخمر أذهبت عقله وسلبته لبّه، فطاشت تصرفاته وانقلبت أحواله، وأصبح خطرًا ماحقًا يهدد الآخرين، فلا يزال الناس يتحاشون شرّه، ويحاولون لجم طيشه إلى أن يسقط بطعنة نجلاء تصيبه في مقتل، أو أن تنهك الخمر جسمه فتخور قواه، فيتهاوى إلى الأرض، وعندها فقط يتنفس الناس الصعداء.

أمريكا السكرانة :

إن أمريكا اليوم سكرانة، ومثلها كمثل ذلك الرجل الذي ذكرناه، فإن كان ذلك الرجل أسكرته الخمر، فما الذي أسكر أمريكا ؟!

لقد أسكرها ما يلي :

١ – قوتها العسكرية العاتية.

٢ – اقتصادها المتوسع.

٣ – هيمنتها على القرارات الدولية.

٤ – حضورها السياسي الجارف.

٥ – اعتقادها بقدرتها على أمركة العالم وعولمة مفاهيمه.

٦ – سيطرتها على المنابع الحيوية من نفط وغاز.

٧ – نجاحها في إبراز الكيان الصهيوني كقوة متمكنة في الشرق الأوسط.

٨ – خوف دول العالم من معارضتها؛ اتقاء بطشها وتنكيلها.

٩ – ادعاؤها نشر الديمقراطية والحرية في أرجاء البسيطة.

١٠ – تقدمها العلمي وتطورها التكنولوجي.

إن خمر أمريكا الذي أسكرها هو تلك البنود العشرة.

نعم، إن تلك البنود، أو بعضها، هي عوامل قوة فيما لو كانت في أيدي عاقلة راشدة، لها منهاج رباني عادل، أما وقد اجتمعت عند من له منهج شيطاني ظالم فلا نشك في أنها قد أسكرته وأخلّت بتوازنه.

إن بيت القصيد في المسألة هو أن أمريكا -بسبب شدة سكرها- لم تتمكن من تشخيص عوارها.

إن مثلها كمثل عادٍ التي تجمعت تحت يديها جميع أسباب القوة، وحازت كل ضروب المنعة. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ (فصلت: ١٥). وكان من شأنها أن ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ (الفجر: ٨).

لقد أسكر هذا البروز الأممي والتفوق النوعي عادًا، فبدل أن تناصر به الحق وظَّفته في الظلم وكذَّبت المرسلين، فتناولتها سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين، وإلحاقهم بالغابرين. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ ؟! (الحاقة: ٦ - ٨). تلك سُنَّة جارية، فماذا تنتظر أمريكا؟!

أخطار أمريكا على العالم

لقد أوجدت أمريكا أخطارًا هائلة في مجمل أرجاء الأرض، ولا يكاد ينجو من أخطارها أحد، وهذا جَرْد سريع لأبرز ما تولد من سكرها بقوتها:

١) الدعم الهائل والمفتوح للكيان الصهيوني على كافة الأصعدة السياسية والمالية والعسكرية وغيرها، وتأييدها المطلق لما يقوم به ذلك الكيان من قتل وتشريد وسجن وتعذيب وهتك للأعراض، وتدمير للممتلكات وجرف للأراضي ومصادرة لها، وقلع للأشجار، وتشديد الحصار وبناء الجدار، وتشييد للمستوطنات، ومصادرة الأموال وغير ذلك، مما تفعله دولة المسخ اليهودي في الفلسطينيين والأرض المباركة. فضلاً عن معارضتها الشديدة لعودة اللاجئين إلى أراضيهم، وتأييدها لجعل القدس عاصمة الكيان اليهودي، وتقديمها الدعم المعنوي والمادي لها على جميع الأصعدة الدولية، وخاصة الأمم المتحدة، بما في ذلك استعمال حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن لإجهاض أي قرار إدانة ضد ذلك الإجرام المذكور.

٢) احتلالها لأفغانستان بعد أن شنَّت عليها حربًا ضروسًا أطاحت بحكم الطالبان، وفعلت فيها مثل الذي فعله اليهود في الفلسطينيين.

٣) احتلالهـا للعـراق، ولا تزال حربها عليها قائمة ومسـتمرة، مسـتخدمة أفتك أنواع الأسـلحة في دكّ بيوت الآمنين في مختلف المـدن العراقية، وخاصة الفلوجة والموصل وسامراء والرمادي وغيرها.

٤) حربها الضروس على العالم الإسلامي كدول، وعلى العمل الإسلامي كدعوة، مستخدمة كافة الوسائل المتاحة.

٥) تأييدها لأعمال القمع ضد المسلمين في الشيشان والفلبين وكشمير وغيرها.

٦) انتهاكاتهـا الصارخة لحقوق الإنسـان، وخاصة أسـرى المسـلمين فـي جوانتنامو وأبوغريـب، وكافة السـجون في العـراق وأفغانسـتان وغيرها، وأصبـح انتهاكها لتلك الحقوق عرفًا دوليًا، إلى درجة أنها انسحبت من اللجنة الدولية لحقوق الإنسان، وأصرت على موقفها في دعمها لانتهاكات تلك الحقوق في فلسطين. إن التاريخ الأمريكي قديمًا وحديثًا هو سجل أسود يضرب بحقوق الإنسان عرض الحائط.

٧) دعمها اللامحدود لكل الحكومات التي تحارب الإسلام والدعاة والعلماء.

٨) بسط نفوذها العسكري والسياسي على الدول المنتجة للنفط والغاز.

٩) هيمنتها على الأمم المتحدة، واستعمالها لتحقيق أهدافها ومآربها.

١٠) عسكرة الفضاء؛ بغية تحقيق التفوق المطلق على جميع دول العالم.

١١) الإعداد لحروب استباقية متعددة.

١٢) تحديـد أهـداف، وصناعـة تحالفات، لإحكام الحزام العسـكري حول الشـرق الأوسـط وإيران والصين وكوريا الشـمالية وروسـيا، والدول الإسـلامية في شـرق آسيا والقوقاز.

١٣) الضغط المتواصل على دول الاتحاد الأوروبي للسـير في فلكها، ولاسـتخدامها في تحقيق أهدافها.

١٤) التدخـل فـي خصوصيات الدول والشـعوب على كافة المسـتويات: السياسـية والاقتصادية والعسكرية، والثقافية والإعلامية والاجتماعية، وفرض الحصار على الدول التي تتمرد على الخضوع لها.

١٥) تنفيذ المجازر الكبرى في كوريا وفيتنام، والصومال واليابان، وغرينادا وكمبوديا

سوى ما ذكرناه بشأن أفغانستان والعراق، إضافة إلى الأعمال القذرة التي تمارسها وكالة المخابرات الأمريكية CIA في مختلف دول العالم.

١٦) استخدامها القنابل الممنوعة دوليًا كالقنابل الذرية والنيترونية، والكيمائية والعنقودية والنابالم، والقنابل ذات التدمير الهائل كالتي استخدمتها في تورا بورا والعراق.

١٧) تجفيف منابع العمل الخيري الإسلامي في جميع أنحاء العالم، ومحاربة الأعمال الإسلامية كافة تحت سيف تهمة الإرهاب.

١٨) دعمها المادي والمعنوي للقوى العلمانية والليبرالية، سواء كانت دولاً أو أحزابًا أو مؤسسات أو مجموعات.

١٩) فرضها «الديمقراطية» على دول العالم بالقوة، وذلك وفق المفهوم الأمريكي، رغم أنها قد انقلبت على الديمقراطية في بلادها، وصارت تمارس جميع أنواع التمييز العنصري والاجتماعي والثقافي والعرقي في داخل حدودها وخارجها.

هذا بعض ما تقوم به أمريكا في جميع أنحاء العالم تحت ضغط سَكْرتها بقوتها وسطوتها.

كيف تواجه دول العالم مخاطر التحدي الأمريكي؟

كما يتقي الناس طيش السكران وعبثه، كذلك فإن دول العالم أجمع في حالة توجس وترقب من تصرفات أمريكا السكرانة؛ بسبب الممارسات الخطرة التي تقوم بها في أنحاء المعمورة.

فنلق ضوءًا على مواقف دول العالم وفق النسق التالي:

أولاً: دول العالم العربي والإسلامي:

رغم أن المؤثرات الأمريكية قد فرضت بصماتها على كثير من المعالم الحياتية في العالم الإسلامي على المستويات السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وغيرها، إلا أن ذلك لم يمنع المسلمين من التنبه إلى مخاطر السُّكْر الأمريكي على العالم الإسلامي،

ويمكننا رصد ذلك التنبه من خلال:

* انبعاث الحركات الجهادية في كل من فلسطين وأفغانستان، والشيشان وكشمير والفلبين، والعراق وإريتريا.

* اتساع العمل المؤسسي الإسلامي الخيري الشعبي.

* إنشاء المراكز الإسلامية المنوعة الأغراض في جميع بلدان العالم بما يربو عددها على عشرة آلاف مركز.

* النزول إلى الساحة الإعلامية بقدر ما تتاح من فرص وتتوفر من إمكانات.

* الاحتفاء بحركة التأليف والنشر والتوزيع، وذلك في جميع مجالات العلوم الإسلامية وألوان الثقافة المعرفية.

* عقد الندوات وإقامة المؤتمرات التي تعالج القضايا الإسلامية بكافة تشعباتها، وتنوع اختصاصاتها.

* نشر الدراسات الاستراتيجية التي تسلّط الضوء على خلفيات، وأهداف حركة الأمركة التي تغلّفت بغلاف العولمة.

* إنشاء البنوك الإسلامية، وتكوين المؤسسات الاقتصادية التي تنطلق جميعًا من المفاهيم الشرعية.

تلك بعض ما تواجه به الشعوب الإسلامية أخطار أمريكا وحلفائها. أما حكومات العالم الإسلامي، فهي وبشكل متفاوت تعتبر كلها أو أكثرها جزءًا من تلك الأخطار ذاتها، ولكل منها حظ ما في ذلك كله؛ حيث إن معظم تلك الحكومات أقامت شبكة من العلاقات مع أمريكا أدت إلى ما يلي:

- الاحتلال العسكري المباشر لبعض الدول الإسلامية والعربية (أفغانستان، العراق).

- إقامة العديد من القواعد العسكرية فيها (باكستان، تركيا، بعض دول الخليج وغيرها).

- السيطرة المباشرة على منابع النفط والغاز في بعض البلاد الإسلامية والعربية (أفغانستان، العراق، بحر قزوين).

- إتاحة الفرصة لأمريكا لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على الحكومات الإسلامية من خلال تحكمها في استثماراتها الهائلة في أمريكا وأوروبا وغيرها.

- الدعم المادي والمعنوي للقوى العلمانية في العالم الإسلامي؛ بغية تحجيم ومحاصرة الصحوة الإسلامية وأدواتها الإيجابية الفاعلة.

- الضغط والتضييق على الدعاة والعلماء وأهل الخير والمصلحين، وكذا تأميم أو إغلاق مؤسسات الأعمال الخيرية بمختلف اختصاصاتها.

إن القراءة المتأنية والرصينة للواقع الحالي تفيد أن أخطار التحدي الأمريكي ستكون شديدة الوطأة في العِقْد الحالي، ولكن من خلال المنظور الاستراتيجي؛ فإن العوامل المؤثرة في الصراع تشير إلى أن الأمة الإسلامية ستتمكن من مواجهة تلك الأخطار والتغلب عليها، وخاصة إذا اشتد توقّد ساحات الجهاد.

ثانيًا: منظومة الاتحاد الأوروبي:

رغم أن معظم دول منظومة الاتحاد الأوروبي المكون من ٤٠ دولة هي ضمن حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن هذا الاتحاد يعتبر التصرفات التي تقوم بها أمريكا السكرانة تشكل أخطارًا عليه، ومن أهمها:

١- ممارسة أشد الضغوط السياسية على حكومات دول العالم؛ كي تسير في فلك السياسة الأمريكية، مما يؤدي حكمًا إلى إضعاف وتحجيم النفوذ السياسي الأوروبي على تلك الدول، وخاصة الإسلامية منها، وهذا بدوره يقود إلى تقليص مساحة الحركة الأوروبية سياسيًّا، فضلاً عن احتمال استعمال أمريكا تلك الدول بذاتها لمحاصرة الحركة الأوروبية وشلّ فاعليتها. وسيؤدي ذلك إلى خلل شديد في التوازنات الدولية، مما يجعل احتمال احتدام الصراعات العالمية قائمًا.

٢- نجاح أمريكا في وضع المملكة المتحدة (بريطانيا) تحت عباءتها، وجرها معها إلى أتون مواقع القتال والمواجهات الحامية (أفغانستان والعراق)، بما يشكل اختراقًا للوحدة الأوروبية التي ترى أن مصالحها ليست بالضرورة متفقة مع المصالح الأمريكية.

إن أوروبا تعي تمامًا الظروف التي أدت إلى أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م في نيويورك وواشنطن، وكذا أحداث ١١ مارس عام ٢٠٠٤م الذي أدت إلى أحداث مدريد، ولذا فهي تريد أن تكون في منأى عن تلك المخاطر التي سبَّبها السكر الأمريكي.

٣- إن هيمنة وسيطرة أمريكا على منابع النفط في المواقع الرئيسة المنتجة له (العراق،

بحر قزوين) سيجعلها قادرة على التحكم بأسعاره العالمية بالطريقة التي تحقق إنعاشًا للاقتصاد الأمريكي بغضّ النظر عن الأضرار التي يمكن أن يواجهها الأوروبيون والناجمة عن خروج أسعار النفط عن حدود تأثيرهم فضلاً عن سيطرتهم.

٤- إن انفراد أمريكا بالدعم الاقتصادي والعسكري والسياسي للكيان اليهودي في فلسطين قد جعل جميع أوراق الشرق الأوسط في يدها، بما أضعف من تأثير أوروبا في استثمار العمق الاستعماري التاريخي الصليبي الذي اضطلعت به خلال القرون الماضية. ولعل أكثر الدول الأوروبية التي تعاني نفسيًا من هذا الواقع هي بريطانيا وفرنسا.

٥- إن مجموع القوى الإيجابية المؤثرة في إنعاش الاتحاد الأوروبي ودعمه تعتبر ضئيلة وضعيفة مقارنة مع مجموع القوى الإيجابية المؤثرة في إنعاش أمريكا. إن الحقيقة المهمة الناجمة عن ذلك هي أن أمريكا، باستعمال فارق مجموع القوى، تتمكن من ممارسة الضغوط على الاتحاد الأوروبي لتحقيق مصالحها الذاتية، ولكن مع منح بعض الفتات للمصالح الأوروبية لتُسْكِتَها. وخير تعبير عن ذلك هي حرب كوسوفا، وكذا القواعد الأمريكية المنتشرة في أنحاء أوروبا، وخاصة ألمانيا وإيطاليا وتركيا.

٦- قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على حشد أكبر عدد ممكن من الدول، بما فيها الدول الأوروبية؛ لاستخدامها في حروبها المحققة لمصالحها، (٣٣ دولة في حرب الخليج الثانية، ٣٠ دولة في حرب احتلال أفغانستان وإسقاط الطالبان، أكثر من ٦٠ دولة في حرب احتلال العراق). إن دول الاتحاد الأوروبي، على الرغم من أن أكثرها قد شارك في تلك الحروب، إلا أنها تتوجس شرًا من عواقب هذه المساهمات والمشاركات على رعاياها أولاً، ثم على مصالحها الذاتية ثانيًا. ومما يزيد الطين بلة بالنسبة لها أن الولايات المتحدة الأمريكية، بسبب شدة سكرها بقوتها، باتت لا تبالي بالأعداد الكبيرة من قتلاها وجرحاها الذين تتدفق توابيتهم يوميًا على أرضها، مما جعلها تلح في طلب المزيد من التضحيات من الآخرين وخاصة الأوروبيين؛ حيث تمكنت من إشعار الاتحاد الأوروبي بضعف تضحياته قياسًا على التضحيات الأمريكية. فعليه أن يبذل المزيد !!، وهو لا يريد !!.

ونلاحظ أن المخاطر الستة كبيرة وواسعة الرقعة.

غيـر أن أوروبـا لـم تترك نفسـها فريسـة للأمريـكان، فها هـي تحصن نفسـها بدروع استراتيجية هامة، من أبرزها:

(١) نظرًا لتوافر مناحي القوة الاقتصادية والسياسـية والعسكرية لدى منظومة الاتحاد الأوروبـي؛ فإن التوجه لدى قادته ينصبّ على تحويل أوروبا إلى قطب عالمي ليسـحب بسـاط انفـراد أمريكا بالأحادية القطبية من تحت قدميها. وقـد رأى القادة الأوروبيون أن تعزيز «الحالة الاتحادية» للاتحاد الأوروبي هو من أبرز معالم هذا التوجه.

(٢) اختطت بعض الدول الأوروبية مسـارات خاصة بها مسـتقلة كل الاسـتقلال عن المسار الأمريكي، بل لا تتوانى عن معارضة ذلك المسار، كالموقف الألماني والفرنسي من الحرب على العراق.

(٣) تسـعى دول الاتحاد الأوروبي إلى تعزيز قواها العسـكرية، والارتفاع بمسـتواها التكنولوجي في كافة المجالات؛ لتكون على مستوى النّدية مع الحالة الأمريكية.

(٤) إن ارتفـاع سـعر صرف اليورو إزاء الدولار قد أعطـى دول الاتحاد الأوروبي قوة اقتصادية إضافية عزّزت مكانتها الدولية.

(٥) تواصل الدول الأوروبية مدّ يدها إلى كافة دول العالم؛ بغية توطيد أواصر التعاون معها وتطبيع علاقاتها السياسية بها (وخاصة روسيا والصين، ودول العالم الإسلامي) بما يشكل حالة التفاف على الضغط الأمريكي على تلك الدول.

(٦) موافقـة الاتحـاد الأوروبي على الشـروع فـي مباحثات مع تركيـا، ابتداءً مـن ٣ أكتوبر ٢٠٠٥م يعطيـه نوعًا ما من الاسـتقرار النفسـي؛ بسـبب كون تركيا تشـكل الخاصـرة الجنوبية الشـرقية لأوروبا، وهي موطن الانفتاح الإسـلامي على الدول الأوروبية. ومحصلة ذلك: إبراز أوروبا قوية مقابل أمريكا قوية.

إن تلك النقاط الست التي ذكرتها لا تعني بالضرورة عداءً أوروبيًا أمريكيًا بقدر ما تعني أن التعـاون الأمريكي الأوروبي ينبغي أن لا يكـون تعاونًا مفروضًا في توجهاته ومفرداته من قبل أمريكا على أوروبا.

ملاحظـة أخيـرة لا بد مـن ذكرها بهـذا الخصوص، وهـي أن الخلفيـة العقديـة النصرانية للأوروبيـن والأمريكيـن توحّد صفوفهما فيما يتعلق بالحرب على الإسـلام، سـواء بشـكل ظاهر أو خفي.

ثالثًا: روسيا:

صحيح أن أمريكا وقفت مع روسيا بشكل قوي وداعم عندما انفكت عرى الاتحاد السوفييتي، إلا أن ذلك الوقوف كان يقصد منه سدّ طرق ومنافذ عودة الشيوعيين إلى دفة الحكم في روسيا. وقد تطلب ذلك من أمريكا أن تدعم يلتسين بكل ما أُوتيت من وسائل الدعم لضمان إقرار وضع سياسي ديمقراطي رأسمالي على أنقاض الحكم الشمولي الشيوعي، ولم يكن لدى السياسيين الروس من بدّ سوى قبول ذلك الدعم سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

لقد مرت روسيا بعد الانهيار الشيوعي في مرحلة اقتصادية صعبة جدًّا، مما ضعضع مواقفها داخليًا وخارجيًا، وما حالة الانحطاط العسكري في مختلف أصناف القوى المسلحة، وخاصة الأسطول، إلا واحدة من تلك التضعضعات المذكورة، كما أن حالة الانفلات التي حصلت في الاتحاد السوفييتي لدى انهياره قد أدت إلى تسرب كثير من الأسرار الاستراتيجية، وخاصة العسكرية، إلى قوى معادية لروسيا، وقد صاحب ذلك أيضًا ما فعلته المافيا الروسية من بيع لأنواع من صنوف الأسلحة، بما فيها السرية، في السوق السوداء الدولية. كل ذلك سبب قبول روسيا قدوم وفود أمريكية للتفتيش على الأسلحة النووية الروسية، بما شكّل حالة خلل خطيرة في التوازن النووي الروسي الأمريكي.

ثم جاءت انتفاضة المسلمين الشيشان في عام ١٩٩٦م للحصول على الاستقلال من روسيا لتعزز حالة الضعف الروسي. غير أن روسيا بقيادة بوتين تمكنت في المرحلة الأولى من رئاسته من إعادة ترميم كثير من التصدعات التي أعقبت الانهيار السوفييتي ما عدا قضية الشيشان التي لا تزال عصية على الحل؛ بسبب إصرار المجاهدين الشيشان على الاستقلال ونجاحهم في التصدي للآلة العسكرية الروسية، رغم قلة عَدَدهم وعُدَدهم. إن الحالة الشيشانية تمثل عملية نزف في الجسم الروسي، وهذا يحقق فائدة لأمريكا لكنه في نفس الوقت يعتبر مصدر قلق لها؛ لأنها تعتبره نواة توسّع وبروز إسلامي في القوقاز، وهذا ما تخشاه أمريكا كثيرًا.

هل تعتبر روسيا أن أمريكا تمثل خطرًا عليها ؟

الجواب: نعم، بكل تأكيد. وسبب ذلك تقاطع المطامع بين الدولتين فيما يتعلق بالسيطرة على مواقع النفوذ السياسية والاقتصادية في العالم. إن روسيا تتوجس الآن كثيرًا من أمريكا بعد أن نجحت الأخيرة في احتلال أفغانستان، وفي إقامة قواعد عسكرية في كل من أوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيستان، ومشروعها في بناء درع صاروخي على الحدود الغربية لروسيا في كل من تشيك وبولندا، وحصولها على تسهيلات عسكرية مفتوحة من باكستان وتغلغلها العسكري في جورجيا، إضافة إلى وضع يدها على نفط بحر قزوين، ونجاحها في إيصال المعارضة إلى دفة حكم أوكرانيا، مما أحدث خللاً شديدًا في منطقة آسيا الوسطى لصالح الأمريكان على كافة الصعد.

فماذا يا ترى روسيا فاعلة لمجابهة الأخطار الأمريكية عليها؟

يمكننا بيان ذلك وفق النقاط التالية:

* لا تريد روسيا في المرحلة الراهنة إبراز تقاطع المطامع، بل تريد إبراز التقاء المصالح، والتي من أهمها محاربة ما أسموه بالأصولية الإسلامية.

* تسابق روسيا الزمن لتحقيق غايتين، الأولى: الحد قدر الإمكان من السيطرة الأمريكية على العالم. الثانية: إعادة البناء الداخلي على المستويين الاقتصادي والعسكري بغية الوصول إلى حالة التوازن مع أمريكا مستقبلاً. وبقدر النجاح الذي تحقّقه في الغاية الثانية بقدر ما يمكنها تحقيق الغاية الأولى.

* تبذل روسيا جهودًا مضنية كي لا تفلت جورجيا وأوكرانيا من يدها بشكل نهائي.

* تحاول روسيا تعزيز علاقاتها السياسية مع الدول التي تدور في الفلك الأمريكي أو التي تحاول أمريكا تدويرها في فلكها، كي لا تتمكن أمريكا من الانفراد بها، وتوجيهها بحسب مطامعها دون أن تواجه بضغوط مقابلة.

تقوم روسيا بدعم الدول المعادية لأمريكا عسكريًا، وخاصة إيران وكوريا الشمالية كما أنها لا تبخل في دعم القدرات النووية لهما.

* تواصل روسيا أبحاثها العلمية لتطوير قدراتها العسكرية الاستراتيجية.

* فيما عدا الاستنزاف الشيشاني؛ فإن روسيا تريد الابتعاد عن أية بؤرة صراع إضافية

تفاقـم اسـتنزافها، بغية محاولة توفيـر أكبر قدر ممكـن من الناتج الاقتصـادي، وخاصة البترول، لمواصلة برامج التنمية، مما يوفّر لها حالة استقرار داخلي يساعدها على الوقوف على مستوى الندية لأمريكا مستقبلاً.

رابعًا: الصين:

لا تـزال الصيـن تتوجس من أمريكا شـرًّا، ولعلها تعتقد أن ليس بينهـا وبين المواجهة معهـا إلا طي الزمن، ومن الممكن بين عشـية وضحاها أن تصنّفهـا أمريكا ضمن محور الشر، وليس ذلك عليها بعجيب؛ إذ إن سكر القوة يهيل على مركز التفكير التراب!!

في إطار صراع المصالح وتحت ضغط نفسية الهيمنة في مواقع اتخاذ القرار الأمريكي؛ فإن الصين تشعر بالمخاطر التالية من قبل الولايات المتحدة :

* رغم أن الصين دولة نووية، لكن ذلك لا يمنع من إمكان تعرّضها لحرب ذرية تحت ظـروف معينة. ورغم أن ذلك قد يبدو مسـتبعدًا لدى المحللين السياسـيين غير أنه يبقى خطرًا كامنًا، قابلاً للخروج إلى السطح عندما يُرَاد له ذلك.

* من الناحيـة الواقعية أضحت الصين حقًّا مُحاصَرة عسـكريًّا بعد احتلال الأمريكان لأفغانسـتان، ونجاحهم في إقامـة القواعد الهائلة في معظم الجمهوريات المسـتقلة عن الاتحاد السوفييتي، ويشكل ذلك خطرًا عظيمًا على القدرة الدفاعية الصينية.

ولا منـاص للصين من إعـادة النظر في تعبئتها العسـكرية وقواهـا القتالية لتتمكن من صيانة حـدودها الممتدة آلاف الكيلومترات، وليـس ذلك بمقدور عليه في الوقت الراهن.

* ولا شك أن الخطر الأمريكي يجد له ثلاث بؤر رئيسة يمكن أن ينطلق منها في مشهد تفجيـري هائل، هـي: حصول حرب بين الصيـن وتايوان، أو حصول حـرب بين الصين والهند، أو وقوف الصين مع كوريا الشمالية في حالة حصول حرب بينها وبين أمريكا.

* فـي الوقت الذي تشـهد العلاقات الأمريكية الصينية تحسـنًا في الجانـب الاقتصادي، إلا أن الولايات المتحـدة تراقب عن كثب التطورات الإيجابية للاقتصاد الصيني، والبدء في انفتاحه على الاقتصاد العالمي.

إن القيـادة الصينيـة الحالية وجدت أن تقوقع القيادات الصينية السـابقة ضمن شـرنقة أحاطـت بها نفسـها قد جعل الصين تعيش خـارج نطاق الزمن، ولذلـك فإنها تقوم الآن

بإعادة بلورة المفاهيم الشيوعية لتتلاءم بطريقة ما مع السيطرة الرأسمالية على العالم، وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

إن الولايات المتحدة لا يروقها ذلك الانفتاح، ولذلك فإنها لا تيسر السبل لامتداده، بل تضع أمامه العوائق المختلفة. وإنني لا أستبعد، إذا تطور الصراع يومًا ما بين أمريكا والصين، أن تفرض أمريكا حصارًا اقتصاديًا على الصين.

* تقوم القيادة الصينية الحالية بمد بساط العلاقات السياسية مع جميع دول العالم، ودعمها وتمتينها، ويلاقي هذا التوجه الصيني ترحيبًا متعاظمًا في كل الدول، في الوقت الذي يلاقي امتعاضًا في أوساط الاستراتيجيين الأمريكيين؛ وذلك لأن أمريكا ترى أن التحجيم السياسي للقيادة الصينية يساعد مستقبلاً في الضغط على الصين في الأوقات الصعبة، وبالتالي فإن الصين تعتبر هذا التوجه الأمريكي خطرًا عليها.

* تشعر الصين بالقلق من القدرة الأمريكية على اختراق الحواجز الصينية المنوعة، والوصول إلى المكامن المجتمعية الصينية التي بشيء من التنظيم والصبر والدعم المادي والمعنوي الأمريكي تستطيع أن تنشئ بؤر معارضة داخلية لنظام الحكم الشيوعي الصيني.

* لقد بذلت القيادة الصينية جهودًا مضنية عبر عقود عديدة حتى تمكنت من إدخال الشعب الصيني الملياري في القوالب الشيوعية الحديدية، إلا أن رياح العولمة الأمريكية باتت تغشى أراضي الصين الشاسعة، وشرعت ذرات غبارها في اختراق النوافذ والأبواب الشيوعية الموصدة، وبدأ الناس يستنشقون ذلك الغبار العولمي الأمريكي رغمًا عن الاحتياطات الحكومية والحزبية. إن القيادة الصينية الحالية باتت لا تستطيع أن تغضّ الطرف عن هذا الخطر الجديد، والمتمثل في وقوع الشعب الصيني تحت مظلة الامتداد العولمي الأمريكي، وأضحت تتساءل هل بالإمكان الصمود إزاء ذلك؟

تلك هي المخاطر الأمريكية على الصين، فما هي احتياطات الصين للوقوف ضدها، يمكننا إجمال ذلك في نقاط محددة كالتالي:

١ - التوسع في الإنتاج النووي، وهو ما تضطلع به الصين حاليًا، وهي تسابق الزمن.

٢ - المضي قدمًا في تحسين وتوسيع الصناعات العسكرية، وخاصة الصواريخ البالستية، والتوجه نحو بناء قوة عسكرية ضاربة ومؤثرة.

٣ - الانفتـاح الاقتصادي المتضمن إتاحـة الفرصة للدول الأوروبية، وحتى الولايات المتحدة، بالمشـاركة في المعـارض الدولية التي تقام في الصين، وكـذا إعطاء الرخص لإقامة مصانع غربية على الأراضي الصينية؛ وذلك لإتاحة فرصة تشـغيل الأيدي العاملة من جهة، وللاستفادة من التقنية الغربية من جهة أخرى.

٤ - توطيد العلاقات السياسـية مع دول العالم كافـة، وخاصة دول الاتحاد الأوروبي ودول الشـرق الأوسـط، وأمريـكا اللاتينيـة، وتطبيعها مع روسـيا، بهـدف إيجاد محيط مؤيد للصين على المسـتوى الدولي، ولتحجيـم التأجيج الأمريكي ضدها في حالة تزايد الاضطراب بينهما.

* بـذل الجهود الحزبية الشـيوعية لتجنيـب المجتمع الصيني التغلغـل الأمريكي في خصوصياته.

* الابتعاد قدر الإمكان عن عوامل الاحتكاك مع أمريكا، وتوقي المسارات المفضية للتصعيد معها.

أخيـرًا، تبقى قضية «الإرهاب» مسـألة قابلة للتداول بين أمريكا والصين، كلٌّ بحسـب مصلحته.

خامسًا: سائر دول العالم:

إذا كانت أمريكا تشكّل أخطارًا على الدول الكبرى؛ فإن مخاطرها على الدول الأخرى بالتأكيد أشد وأنكى، ويمكننا تلخيصها بالتالي:

* التدخل في المسارات السياسية لتحويلها إلى مصبّ السياسة الأمريكية.

* بسط الهيمنة الاقتصادية، وفي بعض الحالات استخدام السلاح الاقتصادي، وذلك لتوظيف ثروات الشعوب لخدمة المصالح الأمريكية.

* الاحتـلال العسـكري (أفغانسـتان، العراق) أو الاكتفـاء بالتدخل العسـكري واقعًا أو تهديدًا.

* التهديد بالحروب الاستباقية.

* إسقاط أنظمة الحكم عن طريق الانقلابات، أو تهييج الثورات الشعبية.

* التصـرف في الشـئون الدولية خارج إطـار الأمم المتحدة، أي مسـتقلة عن الإرادة العالمية أو كما يسمونها الشرعية الدولية.

* رفع شعار محاربة الإرهاب لتبرير أي إجراء اعتدائي تقوم به أمريكا ضد أيّ دولة من دول العالم.

* التدخل في الشئون الداخلية للدول، بما في ذلك الفعاليات الثقافية، والمناهج الدراسية والأعمال الخيرية، والتشريعات القانونية، والأعراف والتقاليد المحلية.

إن سُكْر أمريكا بقوتها قد جعلها لا تبالي في اقتحام كل الذي ذكرته دون أن تشعر بأنها ستكون في محل محاسبة في يوم من الأيام، رغم أن المظاهرات تجوب جميع أنحاء العالم احتجاجًا على سياساتها الغاشمة وتصرفاتها الظالمة وتدخلاتها الحاقدة.

بروز الأقطاب الدولية:

رغم أن المرحلة الراهنة تشكّل الفرصة الذهبية لأمريكا للانفراد بالقطبية الأحادية العالمية؛ فإن الواقع الدولي في ظل التنافس المحموم، والتوجه لإثبات الذات حفاظًا على المصالح القطرية يتجه لسحب البساط من تحت أقدام أمريكا.

إن هذا الهاجس هو الذي يجعل أمريكا في سباق مع الزمن لابتزاز أكبر ما يمكن من الغنائم قبل أن تصل إلى مرحلة التوازن.

إن الأقطاب العالمية المتوقعة هي نفسها التي ذكرناها سابقًا، وهي: الاتحاد الأوروبي وروسيا والصين. هذا بالنسبة للعالم ككل، ولكن هناك أقطاب قارّية تنفرد بها آسيا فقط، وهي: الهند وباكستان، والصين وإيران، وذلك ضمن حسابات معقدة: فالهند ضد باكستان والصين، وباكستان ضد الهند ومع الصين، والصين ضد الهند ومع باكستان وإيران، وإيران مع الصين لكنها ليست ضد الهند أو باكستان. إن هذه الحسبة القطبية القارية المعقدة، جعلت كلاً من باكستان والهند وإيران محط أنظار الأقطاب العالمية، وهي أمريكا وروسيا والاتحاد الأوروبي؛ إذ إن كلاً منها يبني حساباته الخاصة للاستئثار بنتائج هذا الصراع القاري الآسيوي.

في الختام لا بد من الإشارة إلى عدم إغفال تأثيرات أخرى لبعض الدول، كالتأثير الياباني على الاقتصاد العالمي، وكذا الدور الاقتصادي التنموي للنمور الآسيوية (ماليزيا وكوريا الجنوبية وسنغافورة وإندونيسيا).

العمل الإسلامي واللوحة العالمية:

كان القصد من طرح هذه الدراسة المكثفة رسم لوحة للواقع العالمي الحالي، بهدف توجيه أنظار الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي، وخاصة من هم في مواقع القرار إلى خريطة الصراعات الدولية والتواءاتها المنوعة؛ فإن ذلك سيساعد كثيرًا في وضع الخطوط العريضة للعمل الإسلامي المحلي والإقليمي والعالمي، وتأثيراته المنظورة أو المنتظرة.

الفصل الثالث

«مقاومة استراتيجية فرض الهيمنة الأمريكية»

مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية

مدخل:

عندما دلفت الولايات المتحدة باب الغطرسة، وتربعت على كرسي التجبر، واستلت سيف القهر، حسبت أنها إله العالم، ولسان حالها يردد مقولة فرعون: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤) و﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (غافر: ٢٩)، وراح ساستها وكُتابها وإعلامها يعزفون على وتر العجرفة والكبرياء حتى مجّت الشعوب مجرد سماع اسم تلك الدولة المتسلطة المستعلية.

ومن المضحكات حقًا، أن يتساءل رئيسها بعد ذلك فيقول: لماذا يكرهوننا؟!

إنهم يكرهونكم لأنكم تطحنونهم طحنًا، ثم تطلبون منهم أن يبجلونكم قسرًا !!

ومن حسن الحظ أن تنبه بعض أصحاب الرأي من الأمريكان إلى هذا الوادي الذي تنحدر إليه الولايات المتحدة، فبادروا إلى التحذير من مغبة استمرارها في ذلك [1].

البسوا رداءنا :

في مثل هذا الجو المفعم بالانفعالات الأمريكية الضاغطة، وبردود الفعل الإسلامية الرافضة، أطل علينا وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن باول ليعلن المشروع الأمريكي المفصل تمامًا على قدر العالم الإسلامي، والعربي منه على الأخص، ليجعل منه رداءً باطنه فيه الشقاء وظاهره من قِبَله العذاب !!. وطلب من كل فرد مسلم أن يرتديه وينعم بدفئه القاتل !!، وسمّى مشروعه «مبادرة من أجل شراكة أمريكية شرق أوسطية».

مواصفات الشريك الأمريكي:

هذا «البعبع» الأمريكي الذي يخيف العالم، ويريدنا أن ندخل معه في «شراكة»، ما هي مواصفاته التي يريد أن يكوينا بها؟!

(١) انظر إلى بعض أقوالهم في ملحق رقم [١].

لعلنا نعدّد بعضها على الوجه التالي (إضافة إلى المواصفات التسع عشرة التي ذكرناها في فصل: التحدي الأمريكي والتصدي العالمي لأخطاره):

١ - وجه صليبي وانبعاث أصولي نصراني صهيوني.

٢- رسم السياسات الخارجية لمختلف دول العالم؛ بما يحقق مصالح الولايات المتحدة، إن الدول الكبرى تعاني من هذا الصلف الأمريكي بما في ذلك روسيا والصين واليابان ودول الاتحاد الأوروبي، فما بالك بالدول الأخرى مثل كوريا وإندونيسيا، وتركيا وإيران وباقي دول العالم الإسلامي !!

٣- الهيمنة على المصادر الحيوية للطاقة كالبترول والغاز وغيرها، واستخدام لغة التهديد والوعيد لإخضاع الدول التي فيها تلك المصادر لتكون طوع الخاتم في الأصبع الأمريكي، وإلا عرضت نفسها للاحتلال العسكري المباشر على الطريقة الترية.

٤- توزيع القوات العسكرية الأمريكية البحرية والبرية والجوية على مختلف القواعد العسكرية والمحيطات والأجواء؛ لتكون تحت الجاهزية التامة لتحقيق الأهداف الأمريكية بالقوة المسلحة، تلك الأهداف التي من أهمها تطويق العالم الإسلامي، ومصادرة قدراته ومقدراته، والقضاء على الصحوة الإسلامية، وإعادة صبغته بالصبغة الأمريكية، ولا ينفك إعلامها من ترديد: «تأمركوا وإلا !!. إلا ماذا ؟!. وإلا أَمْرَكْنَاكُم بالقوة !!».

٥- تقوم الولايات المتحدة بدعم الأنظمة الدكتاتورية في العالم، طالما هي سائرة في الفلك الأمريكي، بغَضّ النظر عما تقوم به تلك الأنظمة من قمع لشعوبها ومصادرة لحرية الرأي فيها، وإهمال لخدماتها العلمية والعملية وابتزاز لثرواتها. فإذا ما خرجت تلك الأنظمة قيد أنملة عن ذلك الصلف الأمريكي انفتحت لها الحدقة الأمريكية الحمراء؛ كي تعيدها إلى صوابها، وإلا اتهمتها بالدكتاتورية والتسلطية، وهلم جرّا من الأوصاف المعروفة !!

٦- لا تتقبل الولايات المتحدة قيام أيّ نظام إسلامي جديد في أيّ منطقة من العالم، وضربت لمن يفكر في مثل ذلك مثلاً له في أفغانستان.

٧- إذا فشل أي نظام حكم في أي بلد إسلامي في تحقيق الغايات القصوى التي تطلبها الولايات المتحدة منه؛ فإنها لا تتردد في محاولة إسقاطه، وإن كان علمانيًا، والعراق مثال شاخص لذلك.

تلك هي بعض مواصفات «الرامبو» الأمريكي الذي يريدنا أن ندخل معه في «شراكة أمريكية شرق أوسطية».

تمويه وتدليس:

التمويه والتدليس، كلاهما وردا في عنوان المشروع المذكور. فأما التمويه فقد ورد في استعمال لفظ «الشراكة»، وليس ثمة شراكة في المشروع، بل هي فرض الرأي الأمريكي على المنضوين فيه، وسيتضح ذلك جليًا عند عرضنا له. وأما التدليس، فهو في استعمال لفظ «شرق أوسطية»، وهذا التركيب يشمل دول الشرق الأوسط، ومن بينها دولة الكيان اليهودي، في حين أنها لم تكن مشمولة في المشروع بالكلية إلا من إشارة تعزز موقف ذلك الكيان على حساب الفلسطينيين، بل إن المشروع شمل دولاً في المغرب العربي، وهي بالتأكيد ليست شرق أوسطية. والواقع أن المشروع شامل للدول العربية فقط، ولذا فالعنوان الحقيقي لهذا المشروع هو «مبادرة من أجل فرض الرأي الأمريكي على الدول العربية»، أو إن شئت اختصاره قلت: «مبادرة فرض الأمركة على العرب»، أي: أيها العرب، نأمركم أن تتأمركوا !!

هاس مؤصل المبادرة:

إن كان كولن باول قد أعطى تفاصيل المبادرة، فإن الذي أصَّل قواعدها هو ريتشارد هاس مدير إدارة التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، وذلك في خطابه أمام مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية في واشنطن بتاريخ الرابع من ديسمبر ٢٠٠٢م. وقد تضمن خطابه **ثلاث نقاط رئيسة هي:**

* شرح مسهب عن الديمقراطية.
* الممارسات المضادة للديمقراطية في البلاد العربية.
* الخطوط العريضة للاستراتيجية الأمريكية لترويج الديمقراطية [١].

(١) إن مصادرة الأسس التي تقوم عليها المبادئ الديمقراطية في داخل الولايات المتحدة مع استمرار الضغط في الخارج يعبر عن حالة التناقض وعدم الاتزان التي تمر بها الإدارة الأمريكية، وإنه من الواضح أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كانت أكبر من قدرة الولايات المتحدة على استيعاب آثارها، مما أخرجها عن حالة التوازن، وكانت صدمة الحدث أكبر من إمكاناتها المتاحة لامتصاصه.

ومـن المفارقات أن هاس قرَّر في محاضرته أن «مسـاندة وتوسـيع رقعة الديمقراطية كانت دائمًا مسألة مركزية بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية، فمنذ ظهور نقاط الرئيس وودرو ويلسـون الأربع عشرة إلى مشروع مارشال، رأينا في توسيع الحرية والديمقراطية مصلحة قوميـة أساسـية.. إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة، الجمهوريـة والديمقراطية، على حـد سواء، لم تجعل من الديمقراطية أولوية بشكل كافٍ في العديد من أجزاء العالم الإسـلامي، وعلى الأخص في العالم العربي. إن واشنطن ستنتقل الآن إلى عملية ترويج أكثـر تعاطيًا للإصلاح الديمقراطي في المنطقة. وسـيقوم كولن باول بتوفير تفاصيل أكثر بشأن مبادرات سياسية جديدة بهذا الشأن». (انظر نيوزويك ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢م).

يعقب الباحث السيد يسين على ذلك بقوله: «والواقع أن هذا الحكم العام الذي يسوقه ريتشـارد هاس بكل بسـاطة وبراءة في مفتتـح محاضرته، يتناقض مـع الوقائع التاريخية الثابتة، التي تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية، عبر تاريخها، كثيرًا ما مارست التدخل العسكري ضد نظم ديمقراطية، وكثيرًا ما ساندت -وخصوصًا في أمريكا اللاتينية- بلادًا تحكمها نظم ديكتاتورية صريحة، تحقيقًا لمصالحها الاسـتراتيجية. ويؤكد ذلك الكاتب الأمريكي الشـهير جورفيدال فـي كتابه المهم الذي أصدره عقب أحداث الحادي عشـر من سـبتمبر، ورفضت مؤسسات النشـر الأمريكية نشره، وعنوانه: «حرب دائمة من أجل سـلام دائـم»! فقد تضمن جدولاً حصر فيه حـالات تعتدي فيها الولايـات المتحدة على القيم الديمقراطية، وبعضها مخالفة بشكل واضح لقواعد الشرعية الدولية» [1].

وثيقة كونداليزا رايس التمهيدية:

قبل أن يقدم باول مبادرته عرضت الإدارة الأمريكية على الدول العربية «وثيقة خاصة» تتضمن «شروطًا»، وقد صدرت تلك الوثيقة من مكتب مستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس، **وقد تضمنت ما يلي:**

١ - ضرورة امتداد الديمقراطية إلى المؤسسـات السياسية والدستورية، وأن تعبّر هذه المؤسسات عن كافة الاتجاهات القائمة في المجتمع.

---

(١) انظر: محاربة الإرهاب، والدعوة الأمريكية للديمقراطية، بقلم السيد يسين، صحيفة القبس الكويتية ٢ يناير ٢٠٠٣م.

٢- اشتراط تقديم المنح والمساعدات للدول ذات النظام الحزبي القوي (أي التعددية الحزبية)، والذي لا يترك لحزب واحد احتكار السلطة، وإبعاد الأحزاب الأخرى.

٣- الفصل بين منصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء، أي كالنظام القائم في «إسرائيل»؛ إذ هو الأمثل.

٤- التأكيد على أهمية وجود معايير لحماية حقوق الإنسان وكفالة تطبيقها ومراقبة احترامها، وتسجيل أوجه الانتهاكات لحقوق الإنسان ومعاقبة مرتكبيها [1].

فريق عمل:

بينما كان ريتشارد هاس غارقًا في إعداد القواعد التأصيلية، وبينما كانت كونداليزا رايس منشغلة في ترتيب بنود الوثيقة الأمريكية، كان باول منهمكًا في إعداد المعلومات الواقعية التي تتشكل منها خارطة الساحة التنفيذية. فقام بتكليف عدد من سفراء الولايات المتحدة الحاليين والسابقين، وخبراء أمريكيين آخرين، من المعنيين بمتابعة تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدول العربية بوضع تقرير حول كيفية تنفيذ الاصطلاحات الديمقراطية والاقتصادية والتربوية في البلاد العربية. وقد بلغ عدد فريق العمل حوالي ٣٠ خبيرًا، بينهم اثنان من أعضاء الكونجرس الأمريكي. وقد تم كل ذلك بقرار مباشر من الرئيس الأمريكي جورج بوش.

(١) الفرقان، ٢٦ شوال ١٤٢٣هـ، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٢م، عدد (٢٢٦).

مبادرة باول

في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢م أعلن كولن باول وزير الخارجية الأمريكي السابق مبادرة الشراكة في خطاب ألقاه أمام مؤسسة التراث في واشنطن، وتتضمن عنصرين رئيسين:

الأول: المعطيات (الخلفية التي انطلقت منها المبادرة).

الثاني: الركائز.

ونحن نستعرض هذين العنصرين من خلال مقتطفات من الخطاب المذكور نختارها لكل منهما بما لا يخل بالمطلوب[1].

أولاً: المعطيات:

١- إن الشرق الأوسط منطقة شاسعة، فائقة الأهمية للشعب الأمريكي، ومن المفجع أن آلافًا من رجالنا ونسائنا ماتوا في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م على أيدي إرهابيين وُلِدُوا وأصبحوا راديكاليين هناك.

٢- وقد شددت سياستنا الشرق أوسطية، كحكومة، على كسب الحرب ضد الإرهاب، وتجريد العراق من الأسلحة، وإنهاء النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين. ويسرني أن أصدقاءنا سارعوا لمواجهة التحدي بأن منحوا حقوق إنشاء قواعد لعملية «الحرية المستديمة» في أفغانستان، ومبادلتهم المعلومات الاستخباراتية، وتلك المتعلقة بتنفيذ القانون، واعتقالهم إرهابيين مشتبهًا بهم، وفرضهم قيودًا على التمويل الإرهابي.

٣- علينا أن نوجه اهتمامًا متواصلاً ونشيطًا إلى الإصلاح الاقتصادي والسياسي والتعليمي، وعلينا أن نعمل مع شعوب وحكومات لسدّ الفجوة بين التوقع والواقع.

٤- أما المعطيات على المستوى الاقتصادي، فإنه كما جاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢م؛ فإن حوالي ١٤ مليون راشد عربي يفتقرون إلى وظائف هم بحاجة إليها. وسيدخل زهاء ٥٠ مليون عربي آخر من الشبان والشابات سوق الوظائف المزدحم أصلاً خلال الأعوام الثمانية القادمة، إلا أن الاقتصادات لا تولد ما يكفي من الوظائف، فالنمو ضعيف، والناتج المحلي الإجمالي لـ ٢٦٠ مليون عربي هو أقل مما

---

(١) انظر النص الكامل للخطاب الذي تضمن المبادرة في ملحق رقم (٢) في نهاية هذا الفصل.

ينتجه أربعون مليون أسباني، كما أنه آخذ في التدهور حتى أكثر من ذلك. وأما داخليًا فكثير من الاقتصادات تخنقها التنظيمات والمحسوبيات.. ودول الشرق الأوسط غائبة أيضًا إلى حد كبير عن الأسواق العالمية، إنها بالكاد تولّد ١٪ من صادرات العالم غير النفطية.

٥- أما المعطيات على المستوى السياسي؛ فإن كثيرًا من شعوب الشرق الأوسط تحتاج إلى صوت سياسي أقوى، فمتطلبات الحرية تنطبق كليًا على إفريقيا وأمريكا اللاتينية وكامل العالم الإسلامي. وما زالت تحكم كثيرًا من الشرق أوسطيين أنظمة سياسية مغلقة. وإن كثيرًا من الحكومات تكافح ضد مؤسسات المجتمع المدني، وتعتبرها تهديدًا، وإن لغة الكراهية والاستبعاد والتحريض على العنف لا تزال هي اللغة السائدة.

٦- وأما المعطيات على المستوى التعليمي؛ فإن عددًا كبيرًا من أطفال المنطقة يفتقر إلى المعرفة ليستفيد من عالم من الحرية الاقتصادية والسياسية، فعشرة ملايين طالب في سن الدراسة إما في المنازل، أو يعملون، أو في الشوارع، وحوالي ٦٥ مليونًا من آبائهم لا يحسنون القراءة والكتابة. وبالكاد يستطيع شخص واحد من كل مائة الوصول إلى الكومبيوتر. وإن أكثر من نصف نساء العالم العربي أُمّيات ويعانين من البطالة.

ثانيًا: الركائز:

وهي ثلاث:

١- **الركيزة الاقتصادية**: وتتضمن الاشتراك مع مجموعات من القطاعين الخاص والعام لسد فجوات الوظائف بإصلاح اقتصادي، واستثمار للأعمال، وتنمية القطاع الخاص. وكخطوة أولى سيتم إنشاء صناديق أموال للمشاريع في الشرق الأوسط، سيتم تقديم مساعدة فنية إلى الدول الأعضاء الطموحة في منطقة التجارة العالمية، كالسعودية والجزائر ولبنان واليمن.

٢- **الركيزة السياسية**: وتتضمن دعم المواطنين الذين يطالبون بأصواتهم السياسية. وقد أحضرنا وفدًا تكوّن من ٥٥ زعيمة سياسية عربية إلى الولايات المتحدة لمشاهدة انتخاباتنا النصفية. كما مطلوب أيضًا تقوية المؤسسات المدنية التي تحمي حقوق الأفراد وتوفر فرصًا للمشاركة.

٣- الركيزة التعليمية: وهو الإصلاح التعليمي، وستشـدد برامجنا على تعليم الفتيات، وسنوفر منحًا دراسية لإبقاء الفتيات في المدارس، ولتوسيع التعليم للفتيات والنساء.

درسناها مع شركائنا:

يقـول بـاول: «إن هـذه المبادرة هي من المشـاريع الأكثـر تحديًا التي درسـناها نحن وشركاؤنا في المنطقة، وعلينا أن نكون واقعيين بشأن العقبات القائمة على الطريق أمامنا وبشأن الوقت الذي ستستغرقه حتى نرى تغيرًا حقيقيًا».

بدأنا التنفيذ:

قـال بـاول: «نعمل الآن بنجاح مع مجموعة واسـعة من الشـركاء، مثلاً، أعلنا الشـهر الماضي إنشـاء «مؤسسـة ليد» التي ستشـترك فيهـا الوكالة الأمريكية للتنميـة الدولية مع البنـك الدولـي والقطاع الخاص المصرفـي لدعم إقراض المشـاريع الصغيرة في مصر، إضافة إلى ذلك فإننا نشـترك فعلاً عن طريق شـركائنا من أجل تدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنكليزية في دول المنطقة، وبرامج أخرى لتقوية أنظمتها التعليمية».

التمويل:

قال باول: «سـنخصص بصورة أولية مبلغ ٢٩ مليون دولار لجعل هذه المبادرة تنطلق بقـوة، وسـنعمل مع الكونجـرس للحصول على تمويـل جوهري إضافي للعـام القادم، أي ٢٠٠٣م. وهـذه الأموال سـتكون زيادة علـى مبلغ الألف مليـون دولار الذي نقدمه كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام».

أسباب واقعنا المهين:

لا شـك أن المتمعن في محتوى وفحوى هذه المبادرة سـيتبين له أن معظمها حق أُريد بـه باطل؛ ذلك أن الأسـباب التي ولَّدت هذا الواقع المهيـن، وأضفت على البلاد العربية ذلك اللون الباهت، وجعلت منه جدارًا منخفضًا يتسلق عليه باول وأمثاله، لم تتعرض لها المبادرة. وبناء عليه لا بد لنا أن نذكرها باختصار، **على الوجه التالي:**

١- إقرار مبدأ فصل الدين عن الدولة في إطار «الحكم الجبري» أو ما يطلق عليه حاليًا «الحكم الديكتاتوري». وقد ترتب على ذلك عزل الإسلام، كمنهج حياة، كتابًا وسنة، عن واقع المسلمين.

٢- صبغ المجتمع الإسلامي بالصبغة العلمانية الغربية، وذلك عن طريق إخضاعه قانونيًا إلى أحكام دساتير بشرية وضعية استوردت من الغرب والشرق.

٣- تطبيق مناهج دراسية ذات طابع دخيل على الأمة، يستظهر تقديم المعلومات المعرفية، ويستبطن عزل الناشئة المثقفة عن أصول دينها ومنابع حضارتها.

٤- فتح بوابات تدفق الإعلام العلماني على مصارعها؛ لتدلف منها أمواج الفساد في الثقافات والأفكار والمبادئ والمناهج والأخلاق، الغربية منها والشرقية، لتعشعش في عقول المسلمين وقلوبهم وسلوكهم، فتَبُثّ فيهم الشبهات والشعوذات وفاسد الممارسات، وتؤجج فيهم نار الأهواء وأنواع الشبهات.

٥- عزل الأمة الإسلامية عن تاريخها المجيد، لتبقى في الحضيض، وتنسى أيام عزها وعلو كلمتها وامتداد رقعتها، وبث الرعب في نفوس أعدائها.

٦- تكريس حالة الذل والهوان التي ألمت بالأمة الإسلامية، وذلك من خلال محاربة الجهاد أو ما يؤدي إليه، وسدّ أبواب الحرية، وإحكام تكميم الأفواه.

٧- محاربة الدعوة الإسلامية دون هوادة، وذلك من خلال اضطهاد علمائها والتضييق على أنصارها، ومصادرة ممتلكاتها، وتجفيف منابعها (العلمية والعملية)، والتشكيك في مبادئها واعتقال رموزها وبثّ الفرقة والخلاف بين منتسبيها، وجمع العالم على محاربتها وإخضاعها للإرهاب والعنف والتهديد، ومعاملتها بالشدة والنار والحديد.

٨- الابتزاز الدولي المتمثل بمصادرة ثروات هذه الأمة، ومحاولة حرمانها من خيرات بلادها، مما جعل معظم أفراد شعوبها يعانون الفقر والمرض والجهل، وقد أدى ذلك إلى غياب خطط التنمية، وإلى الانحطاط الاقتصادي، وإلى التدهور التعليمي والانفلات السياسي.

٩- إعادة إحياء أسلوب الاستعمار القديم، والمتمثل في الحضور المباشر للقوات الغازية إلى بلادنا الإسلامية، وإقامة القواعد العسكرية فيها؛ لتكون كالسيف المسلَّط على رقاب النفوس المسلمة الأبية.

١٠- استجماع العالم من خلال مجلس الأمن لتمرير قرارات التدخل المباشر في خصوصيات الدول الإسلامية.

١١- زرع الكيان اليهودي في قلب الأمة الإسلامية لتكون طليعة تنفيذ كل ما ذكرناه، وعامل ضغط دائم لأجل ذلك.

هذه أهم الأسباب التي أفضت بالعالم الإسلامي إلى أن يؤول إلى ما آل إليه. وكلها مجموعة في قوله صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث ثوبان رضي الله عنه: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت»[١].

المذكرة التنفيذية لمبادرة باول:

لا نستطيع استقراء تفاصيل ما خلف سطور مبادرة باول، إلا إذا استطلعنا ما جاء في المذكرة التنفيذية لتلك المبادرة التي خطّتها يد الحليف اللدود !![٢]، ولذلك فإن مناقشتنا للمبادرة ستكون من خلال عرضنا لمذكرتها التنفيذية.

لأجل التيسير سنجتهد في وضع عناوين رئيسة لفقرات المذكرة، وسنعرضها (أي المذكرة) على النسق التالي:

أولاً: هدف المبادرة وَأد الإرهاب:

ترى المذكرة «أن أهمية هـذا البرنامج -المبادرة- تأتي من كونه يمثل الدعامة الأولى لوأد الإرهاب في الشرق الأوسط؛ عبر إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية عاجلة، تمكن الساخطين والمارقين على شرعية نظم الحكم من الاندماج والائتلاف معها من جانب، ومع السياسة الأمريكية والدولية من جانب آخر؛ حيث إن مشكلة النظم العربية تكمن في كونها أصبحت، ومنذ حقبة الثمانينيات، هي المصدر الرئيس للإرهاب في

---

(١) انظر تخريجه في «الاستهلال».

(٢) يمكن الحصول على المذكرة من خلال موقع: www.elosboa.com.

العالم، وأن أكثر من ٨٢٪ من الإرهابيين ينتمون إلى الدول العربية، وأنهم نشأوا وعاشوا في هذه الدول، واكتسبوا قيمتهم ومهاراتهم الأساسية في هذه البيئة».

لا شك أن هذا النص من المذكرة تضمن كثيرًا من قلب للحقائق، من أهمها:

١ - اتهام الشرق الأوسط أنه منبع الإرهاب. وهذا افتئات واضح، إلا إذا كان المقصود بـه الإرهاب اليهودي، ولكنه ليس المقصود طبعًا. وفيـه أيضًا -أي النص- صرف النظر عـن منابع الإرهاب الكثيرة فـي العالم. ونحن نقول: إن أخطر أنواع الإرهاب هو إرهاب الولايـات المتحدة؛ باعتباره إرهاب دولـة -ذات إمكانيات خرافية- وليس إرهاب أفراد أو منظمات [1]. (انظر ملحق رقم [٣]).

٢ - تزعم المذكرة أن معالجة الإرهاب تتم من خلال إصلاحات سياسـية واقتصادية. ونحـن نقـول: إن هـذا مجرد تسـطيح للقضية؛ إذ إنه لـم يتطرق لأصل المشـكلة، وهي مصادرة حقوق الاحتكام إلى الإسلام لدى الشعوب الإسلامية.

ثانيًا: مشاكل البيئة العربية:

تقـول المذكـرة: «إن البرنامج الأمريكي على قناعة بأنـه لا يجب غض البصر عن هذه البيئـة أو تجاوزها، لمجـرد الصداقة والتعاون مع بعض الأنظمة العربية هنا أو هناك، وأن البيئة العربية تعاني، ومنذ أوائل حقبة الثمانينيات من أربع مشاكل أساسية، هي:

١- جمـود العمـل الاقتصادي الـذي لازمه غياب الإجـراءات والمعاييـر الديمقراطية التي تساعد في تحسينه، إضافة إلى انتشار ظواهر المحسوبية والفساد.

٢- الزيادة السـكانية غيـر المبرمجة، مما أدى إلى زيادة حدة المشـكلات الاقتصادية الداخليـة، خاصـة مع عـدم وجود رعايـة اقتصاديـة أو اجتماعية مكافئة لهـذه الزيادات السكانية، مما ترتب عليه انخراطهم بقوة في التيارات الإرهابية.

٣- غياب فرص العمل وانتشار البطالة، مما ساعد على نمو هذه التيارات الإرهابية بسرعة شديدة.

---

(١) صدرت كتب كثيرة حول إرهاب الدولة الذي تمارسه الولايات المتحدة، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب «أمريكا والإبادات الجماعية» منير عكش، وكتاب «أمريكا التوتاليتارية» ميشال بوغنون-موردان، وكتاب «الإرهاب والتطرف والعنف الدولي» أحمد أبو الروس وكتاب «أمريكا المستبدة» ميشال بوغنون - موردان.

٤ - إن معظم الإرهابيين العرب تلقوا تعليمًا جامعيًا عاليًا، ونسبة غير قليلة منهم تلقت تعليمًا متوسطًا، وأقلية محدودة لم تتلق تعليمًا، وهذا يعني أن المناهج التعليمية وسوء إدارة المرافق التعليمية، وغياب الوعي التعليمي لعبت دورًا كبيرًا في زيادة حدة مخاطر الجماعات والتيارات الإرهابية.

وتمضي المذكرة قائلة: «وقد لُوحِظ أن الأنظمة العربية على اختلاف أنواعها لم تُبدِ أيّ اهتمام بما آل إليه الأمر من تصدير المشاكل الإرهابية الموجودة في داخل أوطانها إلى العالم الغربي، بل عندما قرّر الإرهابيون الرحيل عنها اعتبروا أنفسهم قد نجحوا في القضاء على الإرهاب».

نلاحظ أن خلاصة المشاكل تتعلق بأمرين: الاقتصاد والتعليم، حسب رأي المذكرة.

ونحن نرى أن مشاكل البيئة العربية متعددة؛ حيث تتناول جوانب عقدية وسياسية واقتصادية وتربوية وثقافية وتعليمية، واجتماعية وإدارية، وصحية وإنسانية، وتقنية وصناعية وزراعية وغيرها. وأن هذه الجوانب متداخلة، وبعضها أوفر حظًا في البروز من الآخر بحسب كل دولة عربية أو إسلامية، وأنها تسير عمومًا نحو التعمق والتجذر مع الأيام، بسبب ضعف الجهود الرسمية والشعبية للحد من ذلك. ولا شك أن التدخل الأمريكي في هذه المشاكل سيعقد حتى مجرد طريقة التفكير في كيفية حلها، فضلاً عن حلها بالفعل، ذلك أن هذه المشاكل ليست وليدة الانبعاث الذاتي غير المسبب، كما أن بعضها لا ينفصل عن بعض، فهي في العموم وليدة ضعف الشعور بهوية الانتماء العقدي، وهو الإسلام، مما قطع حبل اتصالها بمنابع القوة والعزة ونأى بها عن مسالك منهجية الممارسة وفق الشريعة التي ارتضاها ربها لها.

ثالثًا: خطوط عريضة في برنامج الإصلاحات:

تحدد المذكرة الخطوط العريضة لبرنامج الإصلاحات كالتالي:

١ - وضع برامج تنفيذية.

٢ - لها أهداف معينة.

٣- ذات جداول زمنية محددة.

٤ - تتسم بالمرونة؛ بحيث تستجيب لكل الظروف السياسية في المنطقة.

رابعًا: المسائل الأساسية المشترطة لتنفيذ الشراكة:

تحدد المذكرة المسائل الأساسية التي يجب أن تعنى بها جميع الأنظمة بلا استثناء على سبيل الإلزام وليس الاختيار. **وهي أربع مسائل رئيسة:**

المسألة الأولى: التعليم:

ويتضمن حسب نص المذكرة:

١- إنشاء مدارس أمريكية في مختلف البلدان العربية لكل مراحل التعليم الأساسي -الابتدائي والإعدادي والثانوي- تؤهل طلابها للالتحاق بالجامعات الأمريكية.

٢- يجب أن يجد المشروع دعمًا ماليًا كبيرًا من الإدارة الأمريكية، خاصة وأن بعض الدول ستحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير.

٣- في المراحل الأولى سيتم الاعتماد على الخبراء والأكاديميين الأمريكيين لإدارة تلك المدارس، مع تطعيمها بأكبر عدد ممكن من خبراء التعليم في الدول العربية.

٤- عقد عدد كبير من الدورات التأهيلية للتدريس في هذه المدارس لعدد كبير من المدرسين والمدرسات والموظفين من أبناء هذه الدول لمشاركتنا في تحمل مسئوليات هذه المدارس.

٥- خفض رسوم الالتحاق بهذه المدارس، مع تخفيض أسعار المناهج الأمريكية التي ستدرس؛ لتشجيع أكبر عدد ممكن من التلاميذ العرب للانخراط فيها .

٦- إن المناهج التعليمية الأمريكية لن تقتصر على محتوى المناهج المعتادة فقط، وإنما جزء كبير منها سيتم تكريسه لتشجيع المشاركة السياسية والديمقراطية وأسلوب اتخاذ القرارات السليمة، بالإضافة إلى أهم محتوى فيها، وهو الخاص بالعملية الانتخابية من حيث إدارتها والمشاركة فيها .

٧- سيتم إنشاء نوادٍ في هذه المدارس يطلق عليها «نوادي الحرية الأمريكية»؛ حيث ستوفر محضنًا لممارسة التطبيقات الديمقراطية وأسلوب الحياة الأمثل، بعيدًا عن العنف والإرهاب، كما أنها ستوفر فرصًا لنشر ثقافات تتعلق بقيود الآخرين، وتشجيع البنات على ممارسة السياسة واتخاذ قراراتها بعيدًا عن التعصب الديني، أو المفاهيم الخاطئة المنتشرة في دول المنطقة.

أهداف الخطة التعليمية:

إن أهداف مشروع الخطة التعليمية كما حددتها المذكرة هي:

١ - إن الفائدة الأساسية لهذه المؤسسات أنها ستضمن إيجاد فرص عمل لخريجي هذه المدارس والجامعات الأمريكية برواتب مغرية، مما يؤدي إلى زيادة الإقبال عليها، وبذلك يتحقق غرض ثقافي مهم، وهو ربط أبناء الدول العربية بأنماط الثقافات الأمريكية.

٢ - إن هؤلاء الذين سيتلقون تعليمًا عاليًا متميزًا لا بد أن يدخلوا في دائرة الضوء والمناصب السياسية في بلادهم، وبذلك سنضمن ارتباطهم العاطفي، وترتيب أفكارهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، وسيمثل هؤلاء في المستقبل دعامات أساسية لتأييد السياسات الأمريكية، وتلافي خطر الإرهاب ونتائجه.

٣- إن هذا المشروع يحتاج إلى قدر كبير من الموازنات المالية المستقلة، والقادرة على تطوير هذه المدارس في المستقبل؛ لذا فإنه من المهم أن تدعم إقامتها سلسلة من المصالح والمشروعات والمؤسسات الاقتصادية الأمريكية التي ينبغي إنشاؤها في داخل هذه الدول، وهذا سيحقق فائدة كبرى لتوسع الاقتصاد الأمريكي.

المراحل الزمنية لتنفيذ المشروع :

تحدد المذكرة التنفيذية مراحل تنفيذ المشروع على الوجه التالي:

١ - البدء في طرح المشروع أول عام ٢٠٠٣م.

٢ - تستمر خطوات التنفيذ والإعداد والإنشاء حتى عام ٢٠٠٥م. ويتضمن ذلك أيضًا البدء في الإعداد للدراسات التدريبية والبرامج المشتركة، والتأهيل مع حكومات دول المنطقة.

٣- الدراسات الفعلية تبدأ من عام ٢٠٠٥م.

وقفات مع المسألة التعليمية :

نسجل الوقفات السريعة التالية مع المسألة التعليمية، بحسب ما جاء في المذكرة التنفيذية:

١ - لاحظ الخبراء الأمريكيون أن من يسيطر على التعليم؛ فإنه يضمن السيطرة على باقي الدوائر، حاضرًا وفي المستقبل، وهذا صحيح.

٢- هـذا الهجوم التعليمي الأمريكي يفرض على المسـلمين جميعًا النزول، وهم يد واحدة، إلى هذه السـاحة متدرعين بجميع الوسائل الرسمية والشعبية لرد هذه الهجمة الضروس.

٣- تمهـد هذه الهجمة التعليمية الأمريكية لإدخـال المجتمع العربي كله دفعة واحدة في بوتقة التغريب الفكري والسـلوكي على النمط الأمريكي. لذا فإن الرد عليها لا ينبغي أن يتوقف عند حدود المدارس والجامعات، بل يجب أن يشـمل جميع المرافق التي لها تأثير على الرأي العام الداخلة في إطار الصياغة الثقافية والسـلوكية له، كالإعلام وغيره. ولا بد من عقد النـدوات والدعوة إلى المؤتمرات التي تفنِّد هذا التوجه، وتفضح أهدافه وتجلِّي آفاقه، ليكون المسلمون على بينة من أمرهم ومما يُرَاد بهم وبدينهم.

٤- إن هذه المدارس الأمريكية سـيكون لها دور خطير في المسـتقبل، رغم أن عددها مهما كثر، فإنه لن يشـكل إلا نسبة بسـيطة من أعداد المدارس في البلاد العربية، والتي تقدر بعشرات الآلاف، لكـن خطورتها تكمن فـي أن المتخرجين منها سـيحظون بالدعم المـادي والمعنوي ليشـكّلوا مسـتقبلاً طبقـة النخبة التـي يُرَاد لهـا الهيمنة على جميـع مرافق توجيـه المجتمعات الإسلامية، وعلى أعلى المستويات.

المسألة الثانية: التدريب :

تدعو المذكرة إلى عقد دورات تدريبية مشـتركة، سـواء تمت في البلاد العربية أو في أمريكا، وتقول: «أمامنا برامج عمل متخصصة لهذه الدورات، في العلوم السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية، بما يؤكد الصورة الأمريكية المثلى في الديمقراطية ونظم الحكم».

وأمـا بخصوص الجانب العملي فتدعو المذكرة «إلـى اعتماد برنامج منفصل لترجمة مئات الكتب الأمريكية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية إلى اللغة العربية، وتوزيع هذه التراجم على المؤسسـات الدسـتورية في البلـدان العربية، وخاصة البرلمانـات، وما يتعلق بالحكم المحلي والجامعات والـوزارات، والهيئات الاقتصادية الكبرى، والعديد من المؤسسات الاقتصادية الخاصة، إضافة إلى برنامج خاص بالترجمة يهدف إلى ترجمة كتب أمريكية مُبَسَّطَة حول الأنماط المثلى للحياة الأمريكية في جوانبها المختلفـة، وقصص رمزية توجّـه النظر إلى أغراض وأهداف معينة، سـيتم توزيعها على طلبـة المدارس التعليمية، وإدخالها في صلب المناهج التعليمية للمدارس الحكومية في

هـذه البلدان، ويجب أن تتم الترجمات تحت إشـراف وزارة الخارجيـة الأمريكية، التي سـتقوم بتعيين عدد من الخبراء والمختصين على صلة مباشرة بكبار المسئولين المعنيين بتنفيذ البرنامج».

وتعليقنا على ذلك متصل بتعليقنا على المسـألة التعليميـة، ولكن أضيف إليه قضية ضـرورة اهتمام الأوساط الإسـلامية بعملية التحصين العقدي لأبناء المسلمين، الرجال والنسـاء، وعلى كافة المسـتويات، وفي المنشآت التعليمية وخارجها، وأن يتضمن ذلك، إضافة لما ذكرنا، إيلاء موضـوع التدريب وما يتعلق به من دورات ومناهج ومتابعات الاهتمام المناسـب، وأما ترجمة الفكر الغربي وتراثه، فليس بجديد على السـاحة الإسـلامية؛ فإن دور النشـر في كثير من البلاد العربية، وخاصة في البلاد التي خرج منها الإنكليز والفرنسيون لم تدخر جهدًا في ترجمة كل ما يتعلق بالتراث الغربي، سـواء ما تعلق منه بالأدب أو السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو الثقافة العامـة أو غير ذلـك، وأغرقت بتلك التراجم المكتبات العربية، ورغـم ذلك خرج من بين ذلك الركام وتلك الأنقاض صحوة إسلامية عظيمة لا تزال أمواج مدها تتعاظم ومساحات امتداداتها تتكاثر [1].

المسألة الثالثة: المجالس التشريعية:

وهي البرلمانات العربية. وتدعو المذكرة إلى اعتماد أسـلوب الانتخاب، ورفض مبدأ التعيين الحكومي «وأن يتم التعامل مع البرلمانات المعينة كمجالس استشارية، ولا يجوز أن يطلـق عليها مجالس تشـريعية أو برلمانات تجاوزًا !!... وفي حـال الدول التي تصر علـى إبقاء مجالس معينة فإنه يجب ألا يعتد بها في شـكل صورة قـرارات برلمانية، وأنه يلزمهـا تقديم تقاريرها ومذكراتها إلى رأس الدولة وليس إلى المجلس الآخر المنتخب، لأنه لا علاقة بين المجلسـين». وتطالبه المذكرة «بضرورة التأكد تمامًا من استقلالية دور المجالس المنتخبة إزاء السـلطة التنفيذية، مع دعم لدورها الرقابي؛ لتتمكن من السيطرة على الحالات الفاسدة الناشئة من الأخطار الحكومية».

(١) ترجمت إلى اللغة العربية كتب كثيرة لـ: ديستوفسـكي، وأرنست همنغواي، وفيكتورهيجو، وألبيركامو، وسارتر وسيمون دوبوفوار فضلاً عن كتب إنجلز، وكارل ماركس، ومكسيم جوركي وغيرهم.

التصور الأمريكي للمجالس التشريعية :

طالبت المذكرة بإحالة الموضوع إلى خبراء الكونجرس الأمريكي لإعداد تصور وبرنامج تفصيلي حول كيفية تأهيل المجالس التشريعية العربية لممارسة الدور المنوط بها في ظل أجواء ديمقراطية سليمة.

المدة المقررة لإعداد الدراسة:

أعطت المذكرة خبراء الكونجرس الأمريكي مدة ثلاثة أشهر لتقديم الدراسة المطلوبة، وسيتم الاتفاق على فعاليات التنفيذ مع الحكومات العربية المعنية خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٣م [١].

وقفات مع هذه المسألة:

لنا مع هذه المسألة الوقفات التالية:

١- تريد حكومة الولايات المتحدة أمركة النظم السياسية في البلاد العربية بطريقة الأستاذ والتلميذ.

٢- إن إلغاء المجالس المعينة، أو الحد من صلاحياتها، سيترك الساحة فارغة للمجلس المنتخب، وهو مجلس يضم الغثّ والسمين والضار والنافع، والمعارض، والذي ليده بالموافقة رافع !!

٣- إن هذه المجالس تلغي تمامًا استقلالية الدين الإسلامي بالتشريع، وتجعل من الآراء البشرية المستند الأساس والأول للتشريعات، وهذا شرك واضح بالله تعالى في مسألة الحكم.

٤- تريد الولايات المتحدة إضفاء أوضاع قانونية من خلال مجالس تشريعية على جميع مخططاتها التي تريد تنفيذها في البلاد العربية.

٥- ينبغي على جميع المسلمين التنبه إلى خطورة هذه المجالس من حيث الأصل، وأن يزداد تنبههم لذلك بعد أن تنقل هذه المجالس من كونها تحت هيمنة الأنظمة العربية الحاكمة إلى أن تكون ألعوبة في يد الإدارة الأمريكية.

---

(١) لقد تم وضع هذا البند موضع التنفيذ في حينه، وتم الاتفاق بين الولايات المتحدة والدول المعنية المشار إليها على إجراء تغييرات جوهرية في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية، وتم تنفيذ ذلك.

المسألة الرابعة : المرأة العربية المسلمة

دعت المذكرة إلى:

١- تشجيع المرأة العربية على ممارسة دور مباشر في الحياة السياسية والاقتصادية، وأن يكون لها حضور قوي في البرلمانات العربية، وأن تُشكّل في داخلها لجان معينة تتولى شئون المرأة والنهوض بتنميتها.

٢- إزالة الصور الكريهة -هكذا- التي تحرم المرأة من تلك المشاركة، ومن توليها أعلى المناصب، لذا يحق لتلك اللجان مخاطبة الجهات الدولية، خاصة الأمريكية، في حال استمرار العوائق التي تعرقل دورها.

٣- أن تكون برامج دعم المرأة العربية ذات محتوى حقيقي من حيث البدء في برامج تتعلق بحقوقها في المجالات المختلفة، وكذلك واجباتها تجاه المجتمع.

٤- تشكيل مجالس عليا للمرأة لتنفيذ بعض السياسات العاجلة.

٥- توفير موارد منفصلة لضمان تنفيذ اللجان لدورها.

٦- إن الخطة الأمريكية لتحقيق ما ذكر جاهزة، وسيبدأ تنفيذها ابتداء من أوائل عام ٢٠٠٣م.

ملاحظاتنا على هذه المسألة هي:

١- قضية المرأة وموضوع حقوقها ليست وليدة الساعة. إن أصل المخطط المتعلق بصرف المرأة المسلمة عن قيامها بواجباتها المتعلقة بتربية الأجيال، والمتعلقة بحفاظها على حجابها وأدائها لرسالتها حسب ما قرّره لها الإسلام، كان قد بدأ به الغرب والمتربون من أبناء المسلمين على منهجه، منذ أواخر القرن التاسع عشر، ولا تزال محاولاتهم دءوبة ومستمرة، والذي طُرح في هذه المذكرة يُنظَر إليه في هذا الإطار.

٢- الجديد في المسألة هو الاستعانة المباشرة بالولايات المتحدة لتقوم هي بفرض تحقيق المشاركات السياسية والاقتصادية وغيرها للمرأة على حكومات الدول العربية على سبيل الإلزام.

٣- والجديد أيضًا هو الدعم المالي المعلن لتحقيق تلك الأغراض مع وضع جداول زمنية تتعلق بالتنفيذ.

٤- هـذه الخطة الخطيرة التي ستشـرف على تنفيذها الولايـات المتحدة تفرض على جميـع الجهات الإسـلامية أن تتصدى لها عبر جميع الوسـائل المشـروعة؛ لأن أمريكا لا تريـد حقيقة خدمة قضية المرأة المسـلمة، بـل تريد أن تمتطي صهـوة موضوع المرأة للوصول إلى تحقيق مآربها في تفكيك اللحمة الاجتماعية في المجتمع المسلم، وتفتيت لبنته الأساسية وهي الأسرة.

خامسًا: آليات التنفيذ:

تضمنت آليات التنفيذ ما يلي:

١- التقسيم إلى مجموعات:

قسمت المذكرة الدول العربية إلى أربع مجموعات:

المجموعة الأولى: تضم الأنظمة العربية التي ستعمل على تنفيذ برنامج الإصلاحات السياسية والتنموية من تلقاء نفسها، وهما دولتان.

تقول (المذكرة):

* «إن الجانب الأمريكي سيظل مترقبًا للنتائج التي ستتمخض عن حركة هذه الأنظمة. وبعد تقييم النتائج سيكون هناك تشاور أمريكي معها من أجل دعم الإصلاحات جزئيًا أو كليًا، أو إضافة بنود جديدة أو العمل على الإسراع من وتيرة تنفيذ هذه الإصلاحات.

* « إن البرامـج لـن تكون مطلقـة تمامًا، فلابد مـن تدخل تلك الأنظمـة في البرامج المطروحـة من الجانـب الأمريكي، لكن في حال عـدم قبولها فعلى تلـك الدول تقديم البديل المناسـب من تلقاء نفسها. وسـيخضع هذا البديل للتقييم والمشـاورات مع الجانب الأمريكـي، مـن حيث قدرته علـى تحقيق الأغراض والأهـداف التي يسـعى البرنامج الأصلي المطروح إلى تحقيقها».

* «إن الولايات المتحدة لديها رغبة أكيدة في استقرار نظام الحكم في هاتين الدولتين المحوريتيـن في الشـرق الأوسـط. وهي ليسـت علـى اسـتعداد لتقبل فكـرة التغييرات المفاجئة فيهما».

* «علـى الحكومتيـن في هاتيـن الدولتين تقديـم ورقة عمل بصـورة فردية، وكذلك

دليل عمل حول برنامج الإصلاحات السياسية والاقتصادية والتعليمية، وأن يكون هذا البرنامج قابلاً للتنفيذ في عام ٢٠٠٣م، وأن تنتهي مرحلته الأولى في عام ٢٠٠٦م. وسنحترم بالتأكيد رغبتهم في أن يعبر هذا البرنامج عن ثقافتهم وتقاليدهم، ولكن بالقدر الذي يدعم الديمقراطية».

* «أما تلك التقاليد والممارسات التي ستتعارض مع هذا التوجه الديمقراطي والإصلاحات السياسية المطلوبة، فإننا سنطلب، وبمنتهى الصراحة، أن تبدأ الحكومات من تلقاء نفسها في إزالة هذه الممارسات، حتى ولو كان ذلك في إطار خطة تدريجية؛ حتى لا يؤثر ذلك على استقرار وتوازن المجتمعات الداخلية».

* «نرى أن خطوات البرامج الإصلاحية في هاتين الدولتين من تلقاء نفسها تبدأ بعدة خطوات أبرزها:

١) دعم المؤسسات القائمة حاليًا من خلال إدخال تعديلات تستهدف تحقيق متطلبات الديمقراطية، وإنشاء مؤسسات جديدة لهذا الغرض.

٢) إدخال أفكار جديدة لمتطلبات الديمقراطية في نظام الحكم وهياكله المتعددة، وإزالة أفكار قديمة تتعارض مع هذا المطلب، وتشكل عائقًا أساسيًّا أمام الإصلاحات السياسية والديمقراطية.

٣) توسيع نطاق المشاركة السياسية للأحزاب، ومؤسسات المجتمع المدني في قرارات الدولة المعبرة عن متطلبات الديمقراطية .

٤) زيادة الوعي السياسي، من خلال الإعلام والتعليم، بأهمية متطلبات الديمقراطية كنموذج أساسي لطبيعة التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في داخل المجتمع.

٥) تحديد خصائص التحول الديمقراطي للريف والمناطق النائية، والمناطق المختلفة داخل الدولة.

٦) دعم متطلبات الديمقراطية في إطار برامج توعية منفصلة في مجالات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية.

٧) وضع جداول زمنية لتنفيذ كافة البرامج السابقة.

* «على الرغم من أن الجداول الزمنية التي ستضعها هذه الحكومات ستكون ملزمة لها، إلا أننا سنقبل بخطوات المرونة اللازمة في تنفيذ هذه الإصلاحات، كما أننا لن نتدخل في سرعة التطبيق الديمقراطي في هذه الدول إلا بالقدر الذي ستقف فيه هذه الإجراءات دون تطوير يذكر أو تغيير ملموس لمدة لا تقل عن ٥ سنوات، ففي هذه الحالة سنكون ملزمين بالتدخل لإجبار هاتين الدولتين على الاستمرار في تنفيذ برامجها الإصلاحية».

المجموعة الثانية: تضم أنظمة عربية وإسلامية تتم فيها إجراءات الإصلاحات السياسية والديمقراطية بالقوة.

وهذه المنظومة تضم أربع دول، هي العراق وليبيا[1] وسوريا وإيران. أما سوريا فسوف تعطى فرصة أخيرة؛ ذلك أنه «على الرغم من التطورات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة في داخلها، إلا أن النظام لم يبد استجابة لهذه التطورات، وبما يتلاءم مع تحقيق قدر أكبر من الديمقراطية والإصلاحات السياسية المطلوبة، وفي حال الإصرار على الاستمرار في انتهاج بعض السياسات المعادية للمصالح الأمريكية والغربية بصفة عامة، فإنه لن يكون هناك خيار سوى اللجوء إلى القوة العسكرية لتغيير النظام الحالي. وإذا رفض النظام الحاكم هذا التصنيف فعليه أن يقدم رؤيته من خلال وثائق رسمية حول الأشكال الملائمة بالنسبة لهم في إطار خطة الإصلاحات، وكذلك عليهم بيان الآليات التي سيستخدمونها في تحقيق هذا التغيير وأنماطه، فإن عجزوا فستقدم لهم خطة عمل يجبرون على الالتزام بها، قبل تنفيذ الخيار العسكري. أما إيران فقط فسكتت المذكرة عن التفاصيل الخاصة بها.

المجموعة الثالثة: وتضم الدول التي بدأت فعليًا في تطبيق بعض الإجراءات على طريق الديمقراطية والإصلاحات. هذه الدول هي البحرين والكويت والمغرب. وقد حدّدت المذكرة **الإجراءات التالية للتعامل معها:**

١ - تعميق البرامج المشتركة مع هذه الدول في تقوية البرلمانات وتعميق دورها، بحيث

---

(١) أما العراق فقد استخدمت القوة لإسقاط نظامها وتم ذلك في ٩ أبريل ٢٠٠٣م، وأما ليبيا فقد تنازلت عن برنامجها النووي لأمريكا، إضافة إلى تسويات أخرى غير معلنة، وبذلك خرجت من منظومة دول المجموعة الثانية.

تكـون هي القاطرة الحقيقية لقيادة بقية البرلمانـات في الدول العربية نحو الوفاء بالمطالب الديمقراطية.

٢- زيادة مسـاحات الدورات التدريبية لرعايا هذه الدول فـي الأراضي الأمريكية والمتعلقة بالمطالب الديمقراطية.

٣- تفعيل وإنشاء مؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات غير الحكومية؛ لتكون لها القدرة على التعبير الكامل عن المشكلات التي تعانيها مجتمعات الدول الثلاث.

٤- تنظيم برامج بالاشتراك مع الجامعات والمؤسسات في هذه الدول، سواء الحكومية أو غير الحكومية، حول الوعي السياسي، والمشاركة في الحملات الانتخابية.

٥- تدعيـم وتقويـة دور اللامركزيـة السياسـية في هذه البلـدان، بحيـث يصبح مبدأ اللامركزيـة حقيقة واقعـة في مختلف المجالات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية، ويتطلب ذلك دعم برامج الحكم المحلي، وخاصة في مجالات التعليم، مما يساعد على الوفاء بالمطالب الديمقراطية.

المجموعـة الرابعـة: وتضم الدول التي في حالة شـراكة مع الولايـات المتحدة، مثل أنظمـة قطـر والأردن واليمـن. إن الإطار العـام للتعامل مع هذه الدول يتـم من خلال ما يلي:

* أن تقبل ببرامج أمريكية محددة للإصلاحات السياسـية والاجتماعية، سيتم عرضها في أوقات مناسبة. وسيتولى الجانب الأمريكي تطبيق وتنفيذ هذه البرامج.

* علـى أنظمـة هذه الدول أن تبدي كل تعاون مع الولايـات المتحدة من أجل إنجاح التحول الديمقراطي.

* لا يحق لهذه الأنظمة الاحتجاج على المفاهيم المنتشـرة في المنطقة حول السيادة الوطنية والشئون الداخلية لتتهرب من تطبيق البرامج الأمريكية؛ لأن الهدف من الارتباط الأمريكـي بهـذه النظم هـو بناء حالـة مُثْلَى من نظـم الحكم القـادرة علـى مواجهة كل التحديات بيسـر وسـهولة. وسـتكون النظم الديمقراطية والإصلاحات التي ستنتشر في هذه الدول مقدمة لزيادة المد الديمقراطي في كل أرجاء المنطقة.

٢- عموميات تخص المجموعات [١]

أوضحت المذكرة عددًا من العموميات الخاصة بما ذكر، وهي:

* إن النظام الجديد للمعونات سيربط بين الحصول عليها، وبين إنفاقها الجزء الأكبر منها في أغراض الإصلاحات السياسية والديمقراطية.

* إن مبلغ الـ٢٩ مليون دولار يعتبر تخصيصًا عامًا، أما البرامج التفصيلية الأخرى التي سبق ذكرها، فسيتم تخصيص موازنات مالية مستقلة لها، وذلك من خلال برامج المساعدات والمعونات الخارجية.

* إن مستقبل الحداثة في الشرق الأوسط سيمثل الحلقة الأساسية في تطوير الديمقراطية.

* إن إحداث التغيير والإصلاح سيتطلب وقتًا، إلا أن هذا الوقت يجب أن يأتي بأمل كبير؛ لأن تطور النظم في أوروبا الشرقية كان أيضًا صعبًا، ولكنه أصبح حقيقة واقعة بسرعة.

* في المرحلة الحاضرة ينبغي أن يكون برنامج العمل محققًا أغراض المصالح الاستراتيجية الثابتة، أما المصالح المتغيرة فإنها ستخضع لطبيعة الظروف السياسية في المنطقة.

وقفات مع نظام المجموعات :

بعد أن عرضنا نظام المجموعات الذي وضعته الإدارة الأمريكية لا بد أن نسجل الوقفات التالية:

١- إن طريقة تعامل الولايات المتحدة مع الدول العربية لا يمت بصلة إلى اعتبار أن هذه الدول هي دول مستقلة ذات سيادة وطنية، بل هي أقرب ما تكون إلى تعامل المدير مع موظفيه، أو ناظر المدرسة مع مدرسيه. وهي فضلاً عن اتسامها بروح التعالي والاستكبار؛ فإنها أيضًا مُفْعَمة بروح الاحتقار والاستصغار للدول العربية.

٢- إن الإدارة الأمريكية انطلقت في مذكرتها تلك من عدة اعتبارات، من أهمها:

* عدم تمكين الإسلام من الاضطلاع بأي دور سياسي في أنظمة الحكم في الدول العربية، وذلك من خلال مصادرته تمامًا لصالح الديمقراطية الأمريكية.

* مصادرة الهوية الإسلامية لشعوب الدول العربية على كافة المستويات: العقدية

---

(١) تابع لآليات للتنفيذ.

والسياسية، والثقافية والاجتماعية والتربوية، وسائر المقومات الأساسية للبناء المجتمعي.

* تدجين الدول العربية، أنظمة وشعوبًا، لتكون كلها في النهاية أدوات تستخدمها الولايات المتحدة للوصول إلى تحقيق أهدافها الاستراتيجية.

٣- إن استعمال القوة لتنفيذ هذا المخطط الخطير يأتي في سياق مبدأ «الحرب الاستباقية»، الذي أعلنه الرئيس الأمريكي بوش.

٤- إن هذا المخطط هو في حقيقته تعبير عن تجسيد الحقد الصليبي اليهودي وصياغته في خطط وبرامج مبنية على دراسات مستفيضة، وتوفر له كافة الإمكانات لتحقيقه، بما في ذلك الموازنات المالية المفتوحة.

٥- لا شك أن القوى اليهودية المهيمنة حاليًا على الإدارة الأمريكية لها الدور البارز، أو قل الأساس، في وضع وصياغة هذه المبادرة ومذكرتها التنفيذية، وبالتالي فإن الذين وضعوها أخذوا بعين الاعتبار الخدمة العظيمة التي سيتحصلون عليها من تطبيقها في تثبيت وتقوية أركان الكيان اليهودي، ولسحب البساط من تحت أقدام الانتفاضة، خاصة أن من أهداف الحرب على العراق أو غيرها من الدول العربية توفير محضن مناسب لاستقبال الفلسطينيين الذين يريد قادة الكيان الصهيوني تشريدهم من الضفة الغربية وقطاع غزة، وكذلك لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين المفرَّقين حاليًا في أراضي الشتات.

٦- إن نجاح هذا المخطط يعني سقوط المنطقة العربية في براثن استعمار طويل المدى.

٧- إن المتمعن في هذا المشروع -المبادرة- لن تنقصه الفطنة في تحديد مواضع الضعف الكثيرة التي يحتويها، ويظهر تمامًا أن الجهات -الخبراء- التي وضعته تنقصها كثير من المعلومات والخلفيات الحضارية الإسلامية لهذه الأمة، ودليل ذلك مقارنتهم لها بدول أوروبا الشرقية التي كانت شعوبها تحت الأنظمة الشيوعية المتسلطة على رقابها فنبذتها وقضت عليها عندما توفرت لها أول فرصة. أما الشعوب الإسلامية فإنها متشبثة بدينها، عاضّة عليه بالنواجذ، وهو يعيش في أعماق قلوبها ومتجذر في أصول نفوسها، وإن حالة الضعف والوهن التي تمر بها هذه الشعوب حاليًا لا تدل على تنكُّرها لدينها ورفضها لإسلامها. وإن هذه الشعوب تفرق تمامًا بين إسلامها المنتمية إليه وبين ما هو

مفروض عليها من أنظمة فاسدة ومستوردة.

٨- إن أقرب ما يمكن قوله بشأن هذه المبادرة أن واضعيها قد سيطر على عقولهم مفهوم صراع الحضارات الذي كتبه هنتنجتون ونهاية التاريخ الذي كتبه فوكوياما.

٩- إن هذه المبادرة تتضمن بين أسطرها معنًى خفيًا يتعلق بأن الغرب هو صاحب النصر النهائي في هذه المواجهة، وذلك من خلال تصوّره أنه بذلك سيفرض منهاج نظرته للحياة والإنسان على المسلمين.

١٠- ونحن نقول: إن هذا التصور سراب خادع؛ لأن انتصار الإسلام في نهاية مطاف الصراع هو قدر كوني وحقيقة شرعية. قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف: ٨، ٩).

غير أن الوصول إلى تحقيق هذا الموعود يمر عبر الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية بكافة أنواعها، لتتمكن الأمة من الوقوف مرة أخرى على قدميها ورد كيد أعدائها.

اقتراحات :

إن على جميع المسلمين أن يأخذوا مأخذ الجد ما يحيكه لهم عدوهم من مؤامرات وما يعده لهم من مكائد، وإن نصر الله تعالى لهم مرهون بعودتهم إلى التمسك بأحكام إسلامهم وشريعة ربهم و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾. (الرعد: ١١).

ولأجل مباشرة عملية التغيير المطلوبة منا شرعًا، فإنني اقترح النقاط التالية:

١- رفع الروح المعنوية للأمة، وانتشالها من حالة اليأس، واستنهاض عزائمها، واستنفار هممها في مقابل الهجمة الصهيونية اليهودية والصليبية.

٢- إيجاد المحاضن الإسلامية المختلفة للاستفادة من الطاقات المبعثرة للأمة الإسلامية، وأقصد بالمحاضن المؤسسات والهيئات والشركات والمراكز وغيرها.

٣- الاهتمام المؤسسي المبلور، لتغطية مختلف النواحي المعنية بنهوض الأمة على المستويات العقدية والفكرية، والثقافية والتعليمية، والتقنية والاجتماعية، والتربوية والإدارية وغيرها.

٤- بذل الجهود لافتتاح مراكز بحوث ودراسات استراتيجية تغطي الاحتياجات المنوعة

التي ذكرناها من معلومات وإحصاءات واستبيانات وأبحاث ودراسات استراتيجية.

٥- عقد المؤتمرات والندوات لفضح خطط أعداء الأمة، وبيان أساليبهم لتوقي شرها، والتحذير من مغبة السقوط في شباكها وبراثنها.

٦- الاستفادة القصوى من جميع الإمكانات المتاحة في الإعلام من صحافة ومجلات وإذاعة وتلفزيون وإنترنت وفيديو وكاسيت وديسكات وغيرها؛ لتوظيفها في المشروع الإسلامي على كافة المستويات وبمختلف اللغات.

٧- إيلاء النشء عناية خاصة في الجوانب التربوية والعلمية؛ باعتباره جيل المستقبل. والتأكيد على غرس مفاهيم الإسلام الحقيقية في نفسه وعقله، ليكون جيلاً عالمًا وعاملاً ومجاهدًا.

٨- لا بد أن تجد المؤسسات الاقتصادية العناية الكبرى، سواء على مستوى الشركات أو المؤسسات، أو اللجان الخيرية؛ وذلك لغرض تلبية الاحتياجات على كافة المستويات التي تحتاجها الدعوة إلى الله تعالى، إضافة لما ينبغي أن تضطلع به من دور في تمتين وتقوية العمود الاقتصادي الوطني في كافة البلاد العربية والإسلامية.

٩- من الضروري جدًّا أن يتم التلاقي والتنسيق بين مختلف الأوساط العاملة في الساحة الإسلامية لبلورة جهودها بصِيَغ جماعية، توحّد المسيرة، وتستفيد من الطاقات، وتحدد الأهداف والغايات.

١٠- التوسع في افتتاح دور النشر الإسلامية؛ لتقوم بدورها في بثّ الكتاب الإسلامي الذي يحوي في طياته العقيدة الإسلامية الصحيحة، والفكر الإسلامي المؤصَّل والثقافة الإسلامية التي تلبّي احتياجات الصحوة الإسلامية.

١١- تفعيل دور العلماء والدعاة للتصدي لهذه المبادرة الخطيرة.

١٢- دعم البؤر الجهادية ذات المنهج الصحيح في مختلف بقاع العالم؛ لأنها تعتبر مشاعل تضيء الظلام الحالك في العالم العربي والإسلامي.

الملاحق [١-٤]

ملحق رقم (١)

❖ **أقوال بعض أصحاب الرأي بشأن الغطرسة الأمريكية، رفضًا أو تكريسًا:**

١) قال الكاتب الأمريكي توني يوت: «إن بعض العداء الذي تثيره الولايات المتحدة هو إحدى وظائف وجودها، فقبل ارتقائها إلى الهيمنة على الكون، كان زوّارها من الخارج ينتقدون اعتزازها الوقح بنفسها، وثقة الأمريكيين النرجسية بتفوق القيم والممارسات الأمريكية، وعدم اهتمامهم بالتاريخ والتراث.

وقد تغيرت الأمور في الفترة الأخيرة إلى أسوأ، فكثيرًا ما تكون الولايات المتحدة مواطنًا دوليًا عاصيًا للقوانين»؛ «وذلك أنها تتردد في الانضمام للمبادرات أو الاتفاقيات الدولية، سواء ما يتعلق بالاحتباس الحراري، أو الحرب البيولوجية، أو العدالة الجنائية، أو حقوق المرأة، فالولايات المتحدة هي إحدى دولتين لم تصدّقا على اتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩م، كما سحبت توقيعها على معاهدة روما الخاصة بإنشاء المحكمة الجنائية الدولية، وأقل ما يوصف به موقف الولايات المتحدة من الأمم المتحدة ومنظماتها أنه بارد»..

«وينطبق الشيء نفسه على ممارسات الولايات المتحدة التجارية، فهي تدعو إلى العولمة؛ حيث إن رأسمالية السوق الحرة لا تقيّدها الحدود أو المصالح الخاصة، لكنها تطبق التعريفة الجمركية، وهو ما يراه النُّقّاد الأجانب تناقضًا في سلوكها يوحي بالنفاق».

٢) قال جوزيف ناي عميد كلية كندي بجامعة هارفارد، والذي كان مسئولاً في الدفاع والاستخبارات في عهد الرئيس كلينتون: «إن مشكلة المسئولين عن تشكيل السياسة الأمريكية، وتوصيفها في الوقت الراهن هي أن رؤيتهم تنحصر في القوة العسكرية الضاربة، وهؤلاء الذين يوصون بسياسة خارجية أمريكية تتسم بالهيمنة، وتقوم على التوصيفات التقليدية الخاصة بالنفوذ الأمريكي، يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على تحليل غير وافٍ».

وكان جوزيف ناي قد كتب أكثر من مرة منتقدًا النزعة الأُحادية في السياسة الأمريكية متهمًا إياها بإعطاء أولوية للاهتمام بالحقوق، أو القوانين أو الأهداف الأخلاقية، قاصرة الدبلوماسية على دعم المصالح الأمريكية بكل وسيلة مناسبة. ويرى «ناي» أن الأمريكيين قبل أحداث ١١ سبتمبر كانوا يصمُّون آذانهم عمدًا عن العالم المحيط بهم، بل إنهم كانوا سعداء بتجاهل من حذّروهم عام ١٩٩٩م من كارثة مقبلة، مثل جاري هارت ووارين رودمان حين قال: «إن الأمريكيين قد يلقون حتفهم على التراب الأمريكي، وربما بأعداد كبيرة».

ويقول: «ولا شك أن هناك انبهارًا بالقوة العسكرية والاقتصادية، جعل الإدارة الأمريكية تظن أن بإمكان واشنطن المُضِيّ في خططها حول العالم وحدها، دون أن تراعي مصالح حلفائها الغربيين، أو حتى تستشيرهم فيما تفعل، وذلك يشعرهم بأن مصالحهم ليست في الاعتبار، أو أنهم مستبعَدُون من اللعبة الدولية، وذلك يزيد من مشاعر العداء، ويوسّع من رقعته حيال السياسة الأمريكية من أصدقائها وحلفائها في الغرب».

ويعلّق توني يوت على ذلك قائلاً: «قد يكون الحادي عشر من سبتمبر دعوة واضحة إلى منظور جديد، ولكن يبدو أن القيادة الأمريكية الحالية لا تصيخ السمع. إن أمريكا تتولى القصف بالقنابل، أما أعمال إعادة الإعمار المعقدة والخطيرة فتتركها لغيرها».

٣) في إطار تكريس الغطرسة الأمريكية طرح مجموعة من أعضاء الكونجرس الأمريكي مؤخرًا مشروعًا بعنوان «الجسور الثقافية» يرمي لأول مرة لاستقدام طلاب المرحلة الثانوية المتفوقين إلى الولايات المتحدة في منح دراسية في إطار برامج التبادل الثقافي أملاً في صناعة العقول وفق الهوية الأمريكية، وقد شدّد مقدم المشروع على أن مقاومة الإرهاب لا تكون بالقوة العسكرية وحدها، وإنما بمثل هذه المشاريع أيضًا.[١]

(١) المرجع: مجلة المجتمع عدد ١٥٣١، ١٧ شوال ١٤٢٣هـ ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٢م.

ملحق رقم (٢)

النص الكامل لمبادرة باول بخصوص منطقة الشرق الأوسط

فيما يلي النص الكامل لخطاب وزير الخارجية الأمريكي كما ورد على الإنترنت:

إنه لمن المناسـب أن نجتمع في مؤسسـة التراث؛ ذلك أن رؤية المؤسسـة ببناء وطن تزدهر فيه الحرية، والفرص، والرخاء، والمجتمع المدني هي نفس الرؤية التي نتقاسمها مع شـعوب الشـرق الأوسط لبلدانها. خاصة أن الشرق الأوسـط هو منطقة شاسعة فائقة الأهمية للشعب الأمريكي، فالملايين منا يتعبدون في كنائس، ومساجد، ومعابد يهودية، مبشرين بالديانات العظيمة الثلاث التي وُلدت في الأراضي الممتدة بين البحر المتوسط والخليج الفارسي.

ولغتنا وتقاليدنا حافلة بإشـارات إلى بيـت المقدس وبيت لحم ومكة المكرمة، ودليل الهاتف يحمل تلك الأسـماء أمثال: موسـافي، ليفي، وشاهين.. التي تتحدث عن جذور عائلات عريقة في الشرق الأوسط.

ومزارعونـا يزرعـون القمح، وعمالنا يصنعـون طائرات وأجهـزة كمبيوتر، ومنتجات أخرى عديدة نبيعها لدول المنطقة، بينما الأموال تتدفق من مستثمرين في الشرق الأوسط إلى بلدنا. ومن المفجع أن آلافًا من رجالنا ونسائنا ماتوا في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، على أيدي إرهابيين وُلِدُوا وأصبحوا راديكاليين هناك.

واعترافًا منا بأهمية المنطقة، كرّسـنا دمنا ومالنا لمسـاعدة شعوب وحكومات الشرق الأوسط على مدى نصف قرن من الزمن وأكثر.

والحقيقة أن سـيرتي في الخدمة العامة صاغتها الأحداث، فهناك، قد كان لي امتياز أن أكون رئيس هيئة الأركان المشتركة عندما قادت الولايات المتحدة التحالف الدولي، بما فيه عدد كبير من الدول العربية، الذي أخرج الغزاة العراقيين من الكويت، واليوم، كوزير للخارجية، يتطلب الشرق الأوسط قدرًا عظيمًا من اهتمامي.

وقد شـدّدت سيادتنا الشرق أوسـطية، كحكومة، على كسـب الحرب ضد الإرهاب، وإنهاء النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين.

والحرب على الإرهاب لا تقتصر على الشرق الأوسط طبعًا، غير أن أصدقاءها هناك لهم مصلحة مهمة بها بوجه خاص، فقد عانى كثيرون من بلاء الإرهاب مباشرة، ويسرني أن أصدقاءنا سارعوا لمواجهة التحدي بأن منحوا حقوق إنشاء قواعد لعملية (الحرب المستديمة) في أفغانستان، ومبادلتهم المعلومات الاستخباراتية، وتلك المتعلقة بتنفيذ القانون، واعتقالهم إرهابيين مشتبهًا بهم، وفرضهم قيودًا على التمويل الإرهابي.

وعلينا أيضًا، مع دول الشرق الأوسط، ومع أصدقائنا وحلفائنا، ومجتمع الدول، أن نعالج أيضًا الخطر الجسيم والمتنامي الذي يشكّله صدام حسين العراقي.

وقد أعطى مجلس الأمن الدولي، بموافقته الإجماعية على القرار ١٤٤١، العراق فرصة أخيرة للوفاء بالتزاماته. فالنظام العراقي يمكنه إما أن ينزع أسلحته، أو أنه سيُجَرَّد منها. الخيار خيارهم، لكنه لا يمكن أن يؤجل بعد الآن.

ولدينا أيضًا اهتمام قوي عميق وثابت بإنهاء النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. ونحن نعمل مع أصدقائنا في المنطقة ومع المجتمع الدولي، لتحقيق سلام دائم يرتكز على رؤية الرئيس بوش لدولتين تعيشان جنبًا إلى جنب، في سلام وأمن. وهذا السلام سيتطلب من الفلسطينيين قيادة جديدة ومختلفة، ومؤسسات جديدة ومختلفة، ونهاية للإرهاب والعنف؛ وإذ يحقق الفلسطينيون تقدمًا في هذا الاتجاه سيكون مطلوبًا من إسرائيل أيضًا أن تُجري خيارات صعبة، بما فيها إنهاء جميع أوجه النشاط المتعلق بالاستيطان، بصورة تتمشى مع تقرير ميتشيل.

وكما قال الرئيس بوش: إنه بجهد مكثف من قِبَل الجميع، سيكون إيجاد دولة فلسطينية قابلة للحياة أمرًا ممكنًا في عام ٢٠٠٥م، إن هدفنا النهائي هو تسوية عادلة وشاملة عربية وإسرائيلية، تكون فيها جميع شعوب المنطقة مقبولة كجيران، تعيش في سلام وأمن.

وقد كانت هذه التحديات ولا تزال في مقدمة سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية، ولسبب وجيه. فكل منها يؤثر تأثيرًا عميقًا على مصالحنا القومية، وعلى مصالح الشعوب التي تعتبر الشرق الأوسط وطنًا لها، ونحن مازلنا ملتزمين التزامًا عميقًا بمواجهة كل واحد من هذه التحديات بهمة وعزم وتصميم، وفي الوقت نفسه أصبح واضحًا بصورة متزايدة أنه يجب علينا أن نوسّع تعاطينا مع المنطقة إذا كان لنا أن نحقّق

نجاحًا. وعلينا خصوصًا أن نوجّه اهتمامًا متواصلاً ونشيطًا إلى الإصلاح الاقتصادي، والسياسي، والتعليمي، وعلينا أن نعمل مع شعوب وحكومات لسدّ الفجوة بين التوقع والواقع، التي دعتها الملكة رانيا ملكة الأردن بصورة بليغة: (فجوة الأمل).

وقد أوجد انتشار الديمقراطية والأسواق الحرة، التي ألهبتها عجائب الثورة التكنولوجية، قوة محركة تستطيع أن تولّد ازدهارًا ورفاهية إنسانية على نطاق لم يسبق له مثيل. إلا أن هذه الثورة خلّفت الشرق الأوسط وراءها إلى حد كبير، لقد قدمت دول الشرق الأوسط على مدى التاريخ مساهمات لا تقدر بثمن للعلوم والفنون، لكن اليوم، توجد شعوب كثيرة هناك تفتقر إلى ذات الحرية السياسية والاقتصادية، وفاعلية المرأة، والتعليم الحديث.. وكل ذلك تحتاج إليه لكي تزدهر في القرن الـ٢١.

وكما جاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢م الذي وضعه أساتذة عرب بارزون، وأصدرته الأمم المتحدة، فإن سكان المنطقة يواجهون خيارًا أساسيًّا بين كسل وجمود.. ونهضة عربية تبني مستقبلاً زاهرًا لجميع العرب، هذه ليست كلماتي. إنها كلمات خبراء عرب نظروا بعمق إلى القضايا، وهي تستند إلى الحقائق الصارخة.

إن حوالي ١٤ مليون راشد عربي يفتقرون إلى وظائف هم بحاجة إليها لوضع الطعام على موائدهم، وسقوف فوق رءوسهم، وأمل في قلوبهم. وسيدخل زهاء ٥٠ مليون عربي آخر من الشبان والشابات سوق الوظائف المزدحم أصلاً خلال الأعوام الثمانية القادمة، إلا أن الاقتصاديات لا تولد ما يكفي من الوظائف، فالنمو الضعيف، والناتج المحلي الإجمالي لـ ٢٦٠ مليون عربي هو أقل مما ينتجه أربعون مليون أسباني، كما أنه آخذ في التدهور حتى أكثر من ذلك. أضيفوا إلى ذلك إنتاج الـ٦٧ مليون إيراني، وتبقى النتيجة مجرد ثلثي الناتج الإيطالي.

داخليًّا: كثيرًا من الاقتصاديات تخنقها التنظيمات والمحسوبيات، وتنغلق في وجه مغامرات في التجارة والأعمال، وفي وجه استثمار وتجارة.

ودول الشرق الأوسط غائبة أيضًا إلى حد كبير عن الأسواق العالمية، إنها بالكاد تولد ١٪ من صادرات العالم غير النفطية. وهناك عشر دول شرق أوسطية فقط تنتمي إلى منطقة التجارة العالمية. وكما حذّر الرئيس المصري حسني مبارك فإن (إعطاء دعم للصادرات هو قضية حياة أو موت).

إن العجز في الفرص الاقتصادية هو تذكرة إلى اليأس. وهو، إضافة إلى الأنظمة السياسية المتصلبة، خميرة خطرة حقًا. وإلى جانب اقتصاديات أكثر تحررًا، يحتاج كثير من شعوب الشرق الأوسط إلى صوت سياسي أقوى. إننا نرفض الفكرة القائلة بأن الحرية لن تنمو في الشرق الأوسط، أو أن هناك أي منطقة في العالم لا تستطيع أن تحتمل الديمقراطية. وقد جسّد الرئيس بوش تطلعات الشعوب في كل مكان عندما قال في خطابه في وست بوينت: «إنه عندما يتعلق الأمر بالحقوق والحاجات المشتركة للرجال والنساء، ليس هناك تصادم حضارات. فمتطلبات الحرية تنطبق كليًا على إفريقيا وأمريكا اللاتينية وكامل العالم الإسلامي».

وإذا أعطيت الشعوب خيارًا بين الطغيان والحرية، فإنها تختار الحرية. علينا فقط أن ننظر إلى شوارع كابول، المزدحمة بأشخاص يحتفلون بانتهاء حكومة طالبان في العام الماضي.

وهناك بصيص أمل في الشرق الأوسط أيضًا. فدول أمثال البحرين، وقطر، والمغرب قامت بإصلاحات سياسية جريئة. والمنظمات المدنية ناشطة بصورة متزايدة في كثير من الدول العربية، تعمل في قضايا تتعلق بالخبز والزبد، مثل تأمين بطاقات هوية للنساء توجد حاجة ماسة إليها، ونحن نرى أيضًا ثورة عارمة في وسائل الإعلام، من محطات التلفزيون الفضائية إلى مجلات أسبوعية صغيرة الحجم. وعلى الرغم من أن البعض منها لم يرقَ بعدُ إلى مستوى مسئولياته للقيام بتغطية مسئولة وتقديم معلومات واقعية، فإنه يجعل المعلومات في متناول أعداد من السكان أكثر من أي وقت مضى.

ومع ذلك، مازالت تحكم كثيرًا من الشرق أوسطيين أنظمة سياسة مغلقة. وكثير من الحكومات تكافح مؤسسات المجتمع المدني باعتبارها تهديدًا، بدلاً من أن ترحب بها كأساس لمجتمع حر، ديناميكي، ومبشر بالأمل. ناهيك عن أن لغة الكراهية والاستبعاد والتحريض على العنف لا تزال هي اللغة السائدة. وكما قال الملك محمد عاهل المغرب لبرلمان بلده قبل سنتين: «إنه لتحقيق التنمية، والديمقراطية، والتحديث، من الضروري تحسين وتقوية الأحزاب السياسية، والنقابات العمالية، والجمعيات، ووسائل الإعلام، وتوسيع مدى المشاركة».

وأخيرًا: فإن عددًا كبيرًا من أطفال المنطقة يفتقر إلى المعرفة ليستفيد من عالم من الحرية الاقتصادية والسياسية. فعشرة ملايين طالب في سن الدراسة إما في المنازل، أو يعملون، أو في الشوارع بدلاً من أن يكونوا في صفوفهم المدرسية. وحوالي ٦٥ مليونًا من آبائهم لا يحسنون القراءة والكتابة، دع عنك مساعدتهم في دروسهم. وبالكاد يستطيع شخص واحد من كل مائة الوصول إلى كومبيوتر. ومن أولئك النصف فقط يستطيع الوصول إلى العالم الأوسع عبر الإنترنت. وحتى عندما يذهب الأطفال فعلاً إلى المدرسة، غالبًا ما يتعذر عليهم تعلم المهارات التي يحتاجون إليها لكي ينجحوا في القرن الـ٢١. (التعليم) غالبًا ما يعني الاستظهار من غير فهم، بدلاً من التفكير الخلاق الحيوي الضروري للنجاح في عالمنا المتصف بالعولمة.

وقد وجد واضعو تقرير التنمية العربية أن «التعليم أخذ يفقد دوره المهم كوسيلة لتحقيق تنمية اجتماعية في الدول العربية، متحولاً عوضًا عن ذلك إلى وسيلة لاستدامة الفقر والطبقات الاجتماعية». وتلك إدانة دامغة ودعوة للعمل.

وهناك موضوع دائم يبرز من خلال هذه التحديات، ألا وهو تهميش المرأة في كثير من دول الشرق الأوسط. فأكثر من نصف نساء العالم العربي أُمّيّات ويعانين أكثر من جراء البطالة، والافتقار إلى فرص اقتصادية. وتشكل النساء أيضًا نسبة من أعضاء البرلمانات في العالم العربي أصغر منها في أيّ منطقة أخرى في العالم. وإلى أن تطلق دول الشرق الأوسط العنان لقدرات نسائهن فلن تبني مستقبلاً من الأمل.

إن أيّ معالجة للشرق الأوسط تتجاهل تخلّفه السياسي، والاقتصادي، والتعليمي، ستكون مبنية على رمال.

سيداتي، وسادتي: حان الوقت لوضع أساس متين من الأمل، إنني أُعلن اليوم مبادرة تضع الولايات المتحدة بثبات في جانب تغيير، وإصلاح، ومستقبل حديث للشرق الأوسط.

خلال زيارة الرئيس مبارك لواشنطن في مارس الماضي، طلب مني الرئيس بوش أن أتولى رئاسة جهد جديد للحكومة الأمريكية لدعم شعوب وحكومات الشرق الأوسط في جهودها لمواجهة هذه التحديات الإنسانية الملحة، ويسرني أن أعلن النتائج الأولية

لعملنا: مجموعة مبتكرة من البرامج، وإطار لتعاون مستقبلي، نسميها: مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط.

إن مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط هي جسر بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط لتحسين حياتها اليومية ومواجهة المستقبل بأمل.

وكما أن قرارنا إعادة الانتساب إلى اليونيسكو هو رمز على التزامنا بتعزيز حقوق الإنسان والتسامح والتعلم، فإن هذه المبادرة هي دليل قوي على التزامنا بكرامة الإنسان في الشرق الأوسط، إننا سنخصص بصورة أولية مبلغ ٢٩ مليون دولار لجعل هذه المبادرة تنطلق بقوة، وسنعمل مع الكونجرس للحصول على تمويل جوهري إضافي للعام القادم، وهذه الأموال ستكون زيادة على مبلغ الألف مليون دولار الذي نقدمه كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام.

وتستند مبادرتنا إلى ثلاث ركائز: إننا سنشترك مع مجموعات من القطاعين الخاص والعام لسد فجوات الوظائف بإصلاح اقتصادي واستثمار للأعمال، وتنمية القطاع الخاص.

وسنشترك مع قادة المجتمع لسد فجوة الحرية بمشاريع لتقوية المجتمع المدني، وتوسيع المشاركة السياسية ورفع أصوات النساء. وسنعمل مع المربين لسد فجوة المعرفة بمدارس أفضل ومزيد من الفرص للتعليم العالي.

سيداتي سادتي: الأمل يبدأ براتب عمل، وذلك يتطلب اقتصادًا مليئًا بالحيوية والنشاط، وعن طريق مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط سنعمل مع حكومات لإنشاء أحكام وأنظمة اقتصادية ستجتذب الاستثمار الأجنبي، وتتيح للقطاع الخاص أن يزدهر.

وسنساعد شركة الأعمال الصغيرة والمتوسطة على تحقيق وصول إلى الرأسمال الذي هو قوام الحياة، وكخطوة أولى يسرني أن أعلن أننا سننشئ صناديق أموال للمشاريع في الشرق الأوسط، على غرار المشاريع البولندية الأمريكية الناجحة للبدء في الاستثمار فورًا في أعمال جديدة واعدة، وسنساعد أيضًا مزيدًا من الدول على المشاركة في سخاء الاقتصاد العالمي، وذلك يعني تقديم مساعدة فنية إلى الدول الأعضاء الطموحة في

منظمـة التجارة العالميـة كالمملكة العربية السـعودية، والجزائر، ولبنـان، واليمن لتلبية معايير منظمة التجارة العالمية.

وهـو مـا يعني البناء على اتفاقنـا الناجح للتجارة الحرة مـع الأردن بالبدء بمفاوضات اتفاق تجارة حرة مع المغرب، وهو يعني الاستمرار في العمل مع دول كمصر والبحرين لاستكشاف طرق لتعزيز علاقتنا الثنائية من التجارة الاقتصادية، بما في ذلك عبر اتفاقات تجـارة حرة ممكنة، وتتطلـب الاقتصاديات المنفتحة أنظمة سياسـية منفتحة، وعليه فإن الركيزة الثانية لمبادرتنا من الشـراكة سـتدعم المواطنين في هـذه المنطقة الذين يطالبون بأصواتهم السياسية، وقد بدأ المشروع الاختباري الأول في هذا المجال الشهر الماضي، عندمـا أحضرنا وفـدًا مـن ٥٥ زعيمة سياسـية عربية إلـى الولايات المتحدة لمشـاهدة انتخاباتنـا النصفيـة، وقد عقدت اجتماعًـا عظيمًا جدًّا مع هذه المجموعـة الرائعة، وكان التزامها وطاقتها مصدر إلهام لي، وقد وجهنّ إليّ أسئلة صعبة، وناقشنا القضايا كما يفعل النـاس في مجتمعات حرة، وقـد تحدثت أولئك النسـوة إليَّ ببلاغة عن قلقهن بالنسبة إلى المسـتقبل وأحلامهن بعالم؛ حيث يمكن لأطفالهن أن يعيشـوا في سلام، وحدثنني عـن أملهن بأن يرين نهاية للنزاعات التي تشـل منطقتهن. وتحدثـن إليَّ كيف أنهن يردن أن يتحكمـن بحياتهن ومصائرهن، وطلبن أن يعرفـن المزيد عن الديمقراطية الأمريكية، وكيف يجعلن أصواتهن أكثر فعالية؟

وتتطلب زيادة المشاركة السياسـية أيضًا تقوية المؤسسات المدنية التي تحمي حقوق الأفراد وتوفر فرصًا للمشاركة، وعن طريق مبادرتنا للمشاركة سندعم هذه الجهود، ولكي تعمل الاقتصادات الحرة والأنظمة السياسـية بنجاح فإنها تحتاج إلى مواطنين متعلمين، وعليه ستركز الركيزة الثالثة لمبادرة التعاون بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط على إصلاح تعليمي، وستشـدد برامجنا على تعليم الفتيات، فعندما تتحسـن نسبة التعليم بين الفتيات تتحسـن كذلك جميع مؤشرات التنمية المهمة الأخرى في أيّ بلد، ولقد أصاب شاعر النيل حافظ إبراهيم عندما قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبًا طيب الأعراق

وسنوفر منحًا دراسـية لإبقاء الفتيات في المدارس، وتوسيع التعليم للفتيات والنساء،

وبصورة أوسع سنعمل مع الأبوين والمربين لتعزيز الإشراف المحلي، وإشراف الأبوين على الأنظمة المدرسية. وفي كل واحد من هذه المجالات الثلاثة نحن ملتزمون بمشاركة أصلية، في اتجاهين مشاركة مع المواطنين ودول المنطقة ومع الكونجرس، وحتى مع جهات مانحة أخرى بينما ننفذ هذه الأجندة.

إن هذه المبادرة هي من المشاريع الأكثر تحديًا التي درسناها نحن وشركاؤنا في المنطقة، وعلينا أن نكون واقعيين بشأن العقبات القائمة على الطريق أمامنا، وبشأن الوقت الذي ستستغرقه لرؤية تغير حقيقي يتجذر، وبشأن الدور المحدود الذي تستطيع جهات خارجية أن تقوم به، وعلينا أن ندرك أن مصلحة الشرق الأوسط الحقيقية يجب أن تدفع بهذه المبادرة إلى الأمام، وأن المشاركة الشرق أوسطية هي وحدها التي ستحافظ عليها، لكن علينا أيضًا ألا نقنع بتوقعات منخفضة، فكما يظهر الاختمار في المنطقة، فإن شعوب الشرق الأوسط نفسها تمتلكها هذه القضايا.

ونحن لا نبدأ من لا شيء؛ فإننا نعمل الآن بنجاح فعلاً مع مجموعة واسعة من الشركاء، مثلاً: أعلنا في الشهر الماضي إنشاء «مؤسسة ليد» التي تشترك فيها الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مع البنك الدولي والقطاع الخاص المصري؛ لدعم إقراض المشاريع الصغيرة في مصر، إضافة إلى ذلك نشترك فعلاً عن طريق شركاتنا من أجل التعلم مع دول المنطقة في تدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنكليزية، وبرامج أخرى لتقوية أنظمتها التعليمية.

والحقيقة أن جزءًا مهمًا من عملنا سيتناول مراجعة برامجنا القائمة للاستفادة منها، والتأكد من أن برامجنا الحالية تلامس أكبر عدد ممكن من الأرواح، كما أننا لا ندافع عن الأسلوب القائل إن حجمًا واحدًا يلاءم الجميع، فالمنطقة كثيرة التنوع بالنسبة إلى ذلك الأمر، لكننا سنكون على الأرض نصغي ونعمل للتأكد من أن برامجنا مفصلة لتلائم حاجات الشعوب حيثما كانت تعيش.

وإننا بمبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط نعترف بأن الأمل المبني على فرصة اقتصادية، وسياسية، وتعليمية هو حاسم لنجاح جميع جهودنا، وأن نجاح هذه الجهود الأخرى هو، بدوره، ضروري لإيجاد أمل.

لقد شاهدت خلال جولاتي في الشرق الأوسط في الحياة العامة والخاصة عن كثب: طاقة وإبداعًا، وتفاني الأبوين وهما يحاولان بناء مستقبل أفضل لأطفالهما، لكنني شاهدت أيضًا إحباطهما عندما كان التقدم بطيئًا جدًّا، علينا أن نيسر قُدُمًا بخطى أسرع ولسوف نسير بخطى أسرع، إننا عبر مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط سنستخدم طاقتنا وقدراتنا، ومثاليتنا لجلب الأمل إلى جميع عباد الله الذين يعتبرون الشرق الأوسط وطنًا لهم. شكرًا لكم.

ملحق رقم (٣)

التدخلات الأمريكية الرئيسة في العالم

السنة	التدخل
١٨١٩م	ضم فلوريدا.
١٨٤٦م	بداية الحرب العدائية ضد المكسيك، وضم الأراضي التي تشكل حاليًا كاليفورنيا ونيومكسيكو (مكسيك الجديدة) وأريزونا ونيفادا وأوتارا.
١٨٥٤م	تحت تهديد مدافعه أجبر الكومدور بري اليابانيين بفتح مرافئهم أمام التجارة الأمريكية.
١٨٩٨م	غزو الفلبيين. غزو كوبا. ضم هاواي. ضم بورتوريكو. ضم جزيرة غوام.
١٩٠٠م	اشتراك أمريكا بحرب البوكسرز في الصين.
١٩٠٣م	التدخل في بنما لدعم الطغمة المؤيدة لأمريكا التي استولت عل السلطة.
١٩٠٦م	التدخل في كوبا.

١٩٠٩م	التدخل في نيكاراغوا.
١٩١٢م	إرسال المارينز إلى المكسيك.
١٩١٤م	التدخل في المكسيك.
١٩١٥م	التدخل في هاييتي التي أصبحت محمية أمريكية.
١٩١٧م	المشاركة في حرب أوروبا. نزول القوات في كوبا لتعين رئيسًا يعمل لصالحها.
١٩٢٤م	احتلال سان دومينيك.
١٩٢٥م	عودة الجيوش الأمريكية بعد شهرين من رحيلها.
١٩٣٤م	احتلال هاييتي.
١٩٤١م	حرب المحيط الهادي التي انتهت بإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي. الاشتراك في حرب إفريقيا الشمالية وأوروبا.
١٩٤٧م	إنشاء جهاز السي. أي. آى. الذي كان هدفه إسقاط الحكومات خلال عشرات السنين مستخدمًا الجريمة والتخريب... إلخ.
١٩٥٠م	الحرب الكورية.
١٩٥٤م	تدخل الجيش، مدعومًا من السي. أي. آى. في غواتيمالا.

١٩٥٨م	إرسال المارينز إلى لبنان.
١٩٦١م	المحاولة الفاشلة لغزو كوبا (خليج الخنازير). إرسال المستشارين العسكريين إلى فيتنام الجنوبية كمقدمة للحرب التي دامت حتى عام ١٩٧١م (معاهدة باريس).
١٩٦٢م	التدخل في جامايكا حيث استقرت شركات ليل وتيت، وبونتد نروت.
١٩٦٥م	التدخل في جمهورية الدومنيكان.
١٩٧٠م	التدخل في كمبوديا.
١٩٨٢م	نزول قوات المارينز في لبنان.
١٩٨٣م	التدخل في جزيرة غرنادا واحتلالها بالعنف [١].
٢٠٠١م	احتلال أفغانستان
٢٠٠٣م	احتلال العراق

(١) المصدر: كتاب «أمريكا المستبدة» ميشال بوغنون - موردان.

ملحق رقم (٤)

ردود الفعل على المبادرة

جميع الأوساط السياسية والمهتمة بقضية الشرق الأوسط أخضعت هذه المبادرة للدراسة والتأمل، نظرًا لأهمية ما تطرحه من أفكار لها علاقة مباشرة ببلورة النتاج المجتمعي العربي الإسلامي بصيغة أمريكية تُجَرِّد هذه المنطقة من ذاتها وهويتها، وتجعلها مجرد صورة عاكسة للثقافة الأمريكية على كافة الأصعدة.

وقد نظر بعض المفكرين العرب والمتابعين السياسيين إلى هذه المبادرة بنظرة التجزئة، بمعنى أن فيها إيجابيات تغري على الأخذ بها وفيها سلبيات تدعو إلى الابتعاد عنها، وآخرون رأوا أنها كومة من السلبيات، فهي مرفوضة بالكلية، وآخرون قالوا: إن التجربة أحسن برهان، فلنخضعها إذًا للتجربة. وآخرون وآخرون. ولعله من المناسب سوق مقتطفات من مختلف الآراء:

* **د. عصمت عبد المجيد الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية**، يرى أن أمريكا طرحت المبادرة بسبب الوضع المتردي في المنطقة، والذي تتحمل الولايات المتحدة جزءًا كبيرًا من المسئولية فيه، ورغم الإدراك الكامل أن أمريكا تطرح المبادرة في توقيت مناسب لضرب العراق، إلا أن الموقف من المبادرة مازال في حاجة إلى بحث، ولا يجب أن نتخذ موقف الرفض المسبق، وعلينا أولاً أن نستمع جيدًا، والاستماع ليس معناه أننا قبلنا ما يقال تمامًا، كما أن مناقشة المبادرة من كافة جوانبها لا يعني أننا قد قبلنا بها.

علينا أن نكون واقعيين، وسواء شئنا أم لم نشأ؛ فإن أمريكا هي القوة العظمى في العالم، وهذا لا يعني أن نقبل ما يُملى علينا، ولكن لدينا خيارات متعددة للتعامل مع المبادرة، ولعل أهم هذه الخيارات أن نلجأ للأمم المتحدة، وأن نمسك بمفهوم الشرعية الدولية. فيتم تفادي مشاكل كثيرة في التعامل مع المبادرة. (روز اليوسف ٣/ ١/ ٢٠٠٣م).

* **د. مصطفى علوي مدير مركز الدراسات السياسية بجامعة القاهرة** قال: «إنه من ناحية المبدأ؛ فإن أي شخص عاقل لا يمكن أن يرفض أي جهد لتحقيق الأهداف المعلنة

في المبادرة، وهي مزيد من الديمقراطية، تطوير التعليم.. ولكن هذا لا يعني التسليم بأن هذه المبادرة هي بمثابة طوق النجاة للمنطقة، مبدئيًا علينا التسليم بأن العالم كله يتحرك نحو تحقيق هذه الأهداف الديمقراطية والتنمية. ونحن لا يمكن أن نكون معزولين عن هذه الأهداف التي تمثل مطلبًا داخليًا أصيلاً قبل أن تكون مطلبًا خارجيًا.

إن ما يستحق الاعتراض بالفعل ليس الأهداف، ولكن التصنيف الذي قامت به الولايات المتحدة.. حاليًا لا يمكن لأية دولة صغيرة أو متوسطة أو حتى كبيرة أن تتبنى موقف الرفض المبدئي للأطروحات الأمريكية دون مناقشة، وفي ظل وجود أمريكا كقطب واحد وإدارة مثل إدارة بوش، فإن الرفض له ثمن فادح، والحل أن نناقش أمريكا، وأن نعلن أننا مع المبادرة» (روز اليوسف ٣/ ١/ ٢٠٠٣م).

* بطرس غالي، الأمين العام السابق للأمم المتحدة: قال: «أنا مع الولايات المتحدة؛ لأنها تعطي مساعدة كثيرة، إضافة إلى منظمة الأمم المتحدة، وقامت بقطع شوط كبير في هذا الجانب من حيث المساعدات وإرسال مبعوثين للإشراف على الانتخابات وغيرها» (الرأي العام ٧/ ١/ ٢٠٠٣م).

* السفير رجا أحمد حسن مساعد وزير الخارجية قال: «المبادرة رسالة مغلوطة تُظهِر أن الدول العربية لا يوجد فيها ما يسمى بالديمقراطية، وهو خطأ جوهري، فالفرق بين الديمقراطية كما تدرَس وتمارَس على أرض الواقع فرق كبير، والدليل الأكبر هو ما حدث في انتخاب بوش الابن رئيسًا للولايات المتحدة، وما يحدث في الجمعية العمومية للأمم المتحدة عندما يتم التصويت على قرارٍ ما، وتوافق عليه أكثر من ١٥٠ دولة يتم توقيفها بسبب اعتراض الولايات المتحدة وحدها بالفيتو، وخاصة في قضايا الشعوب المغتصبة، كما يحدث في فلسطين المحتلة، وهي أفعال تناهض مبادئ الديمقراطية كما أرساها «يدرو ولسون» من حيث تقرير المصير، واحترام حقوق الإنسان، خصوصًا في شكل العلاقة مع أرييل شارون، والعكس تمامًا مع ياسر عرفات» (الرأي العام ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

* السفير أحمد أبو الخير المستشار السابق لوزير الخارجية قال: «أي مبادرة

أمريكيـة من هـذا النوع لا بد أن تُؤخَذ بشـك كبير، فـلا يُفترض فيها حسـن النية باعتبار أنهـا تقوم على تشـجيع الديمقراطية وتطويـر التعليم والمجتمع المدنـي». (الرأي العام ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

* حسين عبد الرازق الأمين العام المساعد لحزب التجمع قال: «إن أمريكا ليست مؤهلة للحديث عن الديمقراطية خارج حدودها، فقد سـاندت العديد من الأنظمة الديكتاتورية في العالم طالما أن ذلك يحقق مصلحتها». (الرأي العام ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٢م).

* الدكتور جهاد عودة أسـتاذ العلوم السياسـية بجامعة حلوان قـال: «إن هذه المبادرة التـي تتضمن إجـراءات سياسـية وأمنيـة واقتصادية طويلـة الأمد، تهدف إلى اسـتمرار التحالـف الأمريكـي العربي وفـق التوجهـات الأمريكية لتطبيق المنظومـة الأمريكية في المنطقة. (الفرقان ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

* الأسـتاذ شعبان عبد الرحمن المحلل السياسـي قال: «مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط التي أعلنها باول وزير الخارجية الأمريكي هي أحدث المشاريع الأمريكية في المنطقة، أو بالأحرى أحدث الغارات السياسـية والثقافية التي تشـنها على العالم الإسـلامي بالتزامـن مع غاراتها الحربية، ومنذ إعـلان الرئيس جورج بوش الثاني انطلاق الحملة الصليبية ونحن نشـهد حملة اجتياح متناسـقة ومتنوعـة ومركبة، يتكامل شقها الحربي مع السياسي الثقافي لتصب في هدف واحد في إطار الاستراتيجية الجديدة لإعـادة تشـكيل خريطة العالـم الجغرافية والسياسـية بـل والديموجرافيـة». (المجتمع ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

* الأسـتاذ أحمد منصور الكاتب والمحلل السياسـي المعروف قال: «تكمن خطورة مشـروع بـاول في أنه جاء في وقت تحشـد فيه الولايات المتحدة قواتهـا في المنطقة من أجل تغيير نظام الحكم في العراق، مع صدور تقارير ودراسات كثيرة تشير إلى أن المنطقة العربية على أعتاب سايكس بيكو جديدة، أي عملية إعادة ترتيب جغرافي وسياسي لدول المنطقة ». (الفرقان ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

* الأستاذ طلال سلمان، رئيس تحرير صحيفة السفير اللبنانية في رده على سؤال صحفي: كيف تقرأ مبادرة كولن باول لتعزيز الديمقراطية؟! قال: «فيها أقصى الاحتقار للعرب، وعدم الاعتراف بهم وامتهان لهم، واعتبارهم شيئًا كريهًا ومتخلفًا لا ينتمي إلى العصر، فعندما يدغدغ الأمريكيون المشاعر العربية بالديمقراطية، فهم يوجّهون إهانة كبيرة للأنظمة العربية، فنحن لم نكن بحاجة إلى معلم أمريكي ليعلمنا الديمقراطية، فالعيب ليس فينا كمواطنين، بل في أنظمتنا التي لم تسمح لنا بأن نعبر ونغير». (الرأي العام ١٤ يناير ٢٠٠٣م).

الفصل الرابع

التحديات المعاصرة ومشروعية العنف [(١)]

في البعد السياسي والعقدي ليس كل العنف ممقوتًا ومكروهًا، بل هو على وجهين، الأول عنف مشروع، وهو لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، ومقاومة الظلم، والثاني عنف غير مشروع وهو لمحاربة الحق ونشر الباطل، وإشاعة الظلم.

وسأسوق نماذج لكلا الوجهين:

الوجه الأول: العنف المشروع:

* النموذج الأول: الجهاد في سبيل الله، سواء كان جهاد دفع أو جهاد طلب. وأدلته من الكتاب والسنة كثيرة جدًّا. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦). وقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٤١). وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩). وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ (التوبة: ٣٦).

وفي هذا الإطار خاض الرسول -صلى الله عليه وسلم- حروبه كلها، ابتداءً من غزوة بدر إلى غزوة تبوك مرورًا بغزواته الشهيرة: بني قينقاع، أحد، بني النضير، الأحزاب، بني قريظة، بني المصطلق، خيبر، فتح مكة، حنين، الطائف، تبوك، سوى عدد كبير من الغزوات الأخرى والسرايا والبعوث. ثم ما جرى بعد ذلك من حروب الردة، ثم فتح بلاد فارس وبلاد الروم، ثم التوغل شرقًا في آسيا، والتوغل غربًا وجنوبًا في إفريقيا ثم شمالاً في أوروبا.

---

(١) انظر بحثنا المفصل عن «العنف في بعده السياسي» المنشور في كتاب «ظاهرة التطرف والعنف» من إعداد مركز البحوث والدراسات في قطر.

إن كل هذه الحروب مع ما صاحَبَها من عنف تصنَّف في إطار العنف المشروع، وذلك لأنــه جهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، ولإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ليكــون الدين كله لله، ومن أجل أن لا تكون فتنة، مع مراعاة عدم قتل غير المحاربين من النساء والصبيان.

* **النموذج الثاني**: مقاومة المحتلين على مدى التاريخ الإسلامي، ومن أبرزه في الماضي مقاومة غزوات التتار، ومقاومة الهجمات الصليبية على مختلف البلاد الإسلامية، وخاصة القدس، وقد خلَّفت هذه الهجمات ملايين الشـهداء (نحسـبهم كذلك) من المسـلمين. وفي الوقت الحاضر مقاومة الشـعب الفلسـطيني لاحتلال اليهود، وكذا مقاومة الشعب الشيشاني والشعب الأفغاني، والشـعب العراقي لهجوم الصليبيين المعاصرين، وكذلك مقاومة الشعب المسلم في تايلند للتسلط البوذي، ومقاومة المسلمين في الفلبين للتسلط النصراني، ومقاومة الشـعب الكشـميري للتسلط الهندوسـي. إن جميع هذه المقاومات هي مقاومات مشـروعة ومطلوبـة، وإن العنف المتولّد عنها هو عنف مشـروع؛ حيث إن جميع هذه المقاومات يمكننا إدخالها في جهاد الدفع.

* **النمـوذج الثالـث**: العمليـات النوعية التي تنكأ فـي العدو، وتـؤازر الحق، وتمحق الظلم، وتزيل الباطل. ومن أبرزها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يلي:

* قتـل كعـب بن الأشـرف اليهودي؛ وذلـك لأنه كان يـؤذي النبي -صلـى الله عليه وسـلم- بالهجاء والذم، وينشـد الأشـعار في الحث على محاربته، وقـد قتله محمد بن مسلمة وصحبه بأمر من النبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

* قتل سـلام بـن أبي الحقيق، وكنيته أبـو رافع، وكان يهوديًا مؤذيًـا للنبي -صلى الله عليه وسـلم- وهو من الذين حزّبوا الأحزاب ضد المسلمين، وقدم لهم الأموال الكثيرة، وزودهـم بالمؤن. وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسـلم- بقتلـه، فخرجت له مفرزة من خمسة رجال، منهم عبدالله بن عتيك، وهو الذي قتله.

* قتـل الثمانيـة نفر من عـكل الذين قدمـوا المدينة، وبايعـوا النبي -صلـى الله عليه وسـلم- على الإسلام فاستوخموا الأرض، وسقمت أجسامهم، فأخرجهم النبي -صلى الله عليه وسـلم- مع راعي الإبل ليصيبوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا، فصحوا ثم ارتدوا

عن الإسلام فقتلوا الراعي وطردوا الإبل، فبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في آثارهم فأُدرِكُوا، فجيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم، ثم نُبِذوا في الشمس حتى ماتوا.

* إهدار دماء نفر من أكابر مجرمي المشركين وعددهم تسعة. وقد حقن النبي -صلى الله عليه وسلم- دم من أسلم منهم، ثم قتل الباقي وهم: ابن خطل، ومقيس بن صبابة، والحارث بن نفيل بن وهب وإحدى قينتي ابن خطل، وسبب هدر دمائهم أن لكل منهم موقفًا من الإسلام أو النبي -صلى الله عليه وسلم- يستحق عليه القتل.

وأما في وقتنا الحاضر؛ فإن العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المسلمون من الرجال والنساء في كل من فلسطين والشيشان، والعراق وأفغانستان، وغيرها تعتبر كلها من العمليات النوعية المشروعة إذا كانت لإيقاع الموت والدمار في المعتدين على أرض الإسلام والمسلمين، وهو عنف مشروع؛ لأنه لمقاومة الظالمين ولإزهاق باطلهم. لكنها لا تكون مشروعة إذا كانت عشوائية، فتؤدي إلى قتل الأبرياء من المسلمين، ولا يكفي الاستظلال بمظلة الترس لتبرير هذه الأفعال.

الوجه الثاني: العنف غير المشروع

*** النموذج الأول: القتل والتدمير، وإهلاك الحرث والنسل الذي تقوم به قوات الكيان اليهودي في فلسطين. وهذا جرد سريع لبعض المجازر التي ارتكبتها منذ عام ١٩٤٧م:**

مذبحة قريتي الشيخ وحواسة في آخر يوم من ديسمبر ١٩٤٧م ليلة رأس السنة الميلادية ١٩٤٨م، ومذبحة قرية سعسع في ١٥ فبراير ١٩٤٨م، ومذبحة رحوفوت في ٢٧ فبراير ١٩٤٨م، ومذبحة كفر حسينية في ١٣ مارس ١٩٤٨م، ومذبحة دير ياسين في أبريل ١٩٤٨، ومذبحة ناصر الدين في ١٤ أبريل ١٩٤٨م، ومذبحة حيفا في ٢٢ أبريل ١٩٤٨م، ومذبحة بيت داراس في ٢١ مايو ١٩٤٨م، ومذبحة اللد في أوائل يوليو ١٩٤٨م، ومذبحة الدوايمة في ٢٩ أكتوبر ١٩٤٨م، ومذبحة يازور في ديسمبر ١٩٤٨م، ومذبحة شرفات في ٧ فبراير ١٩٥١م، ومذبحة بيت لحم في ٢٦ يناير ١٩٥٢م، ومذبحة قرية فلمة في ٢٩ يناير ١٩٥٣م، ومذبحة مخيم البريج في ٢٨ أغسطس ١٩٥٣م، ومذبحة قلقيلية في ١٠ أكتوبر ١٩٥٣م، ومذبحة قبية في ١٥ أكتوبر ١٩٥٣م، ومذبحة

مخالين في ٢٩ مارس ١٩٥٤م، ومذبحة دير أيوب في ٢ نوفمبر ١٩٥٤م، ومذبحة غزة الأولى في ٢ فبراير ١٩٥٥م، ومذبحة غزة الثانية في ٤ و ٥ أبريل ١٩٥٦م، ومذبحة خان يونس الأولى في ٣٠ مايو ١٩٥٥م، ومذبحة خان يونس الثانية في ١ سبتمبر ١٩٥٥م، ومذبحة الرهوة في ١١ و ١٢ سبتمبر ١٩٥٦م، ومذبحة كفر قاسم في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م، ومذبحة خان يونس الثالثة في ٣ نوفمبر ١٩٥٦م، ومذبحة السموع في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦م، ومذبحة مصنع أبي زعبل في ١٢ فبراير ١٩٧٠م، ومذبحة بحر البقر في ٨ أبريل ١٩٧٠م، ومذبحة صيدا في ١٦ يونيو ١٩٨٢م، ومذبحة صبرا وشاتيلا في ١٦ و ١٧ و ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م (نفذتها قوات الكتائب الصليبية بإشراف وحماية القوات اليهودية)، ومذبحة عين الحلوة في ١٦ مايو ١٩٨٤م، ومذبحة حمامات الشط في ١١ أكتوبر ١٩٨٥م، ومذبحة الحرم الإبراهيمي في ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، ومذبحة قانا في ١٨ أبريل ١٩٩٦م [١].

هذا سوى المذابح والمجازر التي ترتكبها القوات اليهودية بشكل يومي في أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة منذ اندلاع الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م.

وهذا نموذج ينقله مراسل القبس - كشاهد عيان - في غزة عبدالرزاق أبو جرز عن المذبحة التي نفذتها في ٨ نوفمبر ٢٠٠٦م في بيت حانون (بعد أن أعلنت انسحابها منها في ٧ نوفمبر ٢٠٠٦م). يقول المراسل: «صدمة، أسف، ذهول، استنكار، كل ذلك لا يصرف في مصرف المجازر التي تخصصت بها إسرائيل للحم الفلسطيني العاري، لأطفال ونساء نصبت لهم الدبابات الإسرائيلية كمينًا، وذلك بادعائها الانسحاب من بلدة بيت حانون في ٧ نوفمبر ٢٠٠٦م مما أغراهم بالعودة إلى منازلهم المدمرة، لكن قذائف الدبابات حرمتهم من استقبال فجر نهارهم»، ثم يصف ما حل بأسرة بأكملها من جراء تلك القذائف فيقول: «أشلاء، وقطع من اللحم، وبقع من الدماء اختلطت بركام وحجارة منزل عائلة العثامنة التي سقطت كاملة بين شهيد وجريح، بعد استهداف منزلها المكوَّن من أربعة طوابق بقذائف الدبابات الإسرائيلية بشكل متعمد. هرع المواطنون

(١) ملخص من موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية للدكتور عبدالوهاب المسيري، من نشر الدكتور طارق فاروق.

مع سقوط أول قذيفة على منزل العائلة لاستطلاع ما جرى فلاحقتهم قذائف الاحتلال داخل المنزل. ومن بين الشهداء أطفال قطعت رءوسهم وأطرافهم، ومواطنون قضوا وهم نيام على أَسِرَّتهم، وآخرون كانوا يهمون بالذهاب إلى المدرسة. بركة كبيرة من الدماء تجمعت على باب منزل العثامنة التي استشهد ثلاثة عشر من أفرادها.

وأوضح الشهود أن المواطنين المنكوبين أصبحوا يجرون في الشوارع بشكل عشوائي بحثًا عن أماكن آمنة للاحتماء من حمم القذائف التي طاردتهم في كل مكان إلى أن وصلوا إلى مدارس وكالة الغوث الدولية على أطراف البلدة للاحتماء بها. واكتظت أَسِرَّة وجَنَبَات مستشفى كمال عدوان، ومستشفى العودة شمال القطاع بجثث الشهداء والجرحى، وتم تحويل العشرات منهم إلى مستشفى في مدينة غزة لاستكمال العلاج» انتهى كلامه [١].

وفي «دليل حق العودة» الذي أصدره الدكتور سلمان أبو ستة، رئيس هيئة أرض فلسطين التي مقرها لندن، ذكر المؤلف أن العصابات الإسرائيلية في غاراتها على الفلسطينيين عام ١٩٤٨م ارتكبت ٣٥ مذبحة كبيرة، وأكثر من ١٠٠ حادثة قتل جماعي، مما أدى إلى طرد أهالي ٥٣٠ مدينة وقرية، بالإضافة إلى ٦٦٢ ضيعة وقرية صغيرة، وأهالي هذه المدن والقرى هم اللاجئون الفلسطينيون اليوم والذي يقدّر عددهم بـ ٦,١ مليون لاجئ (إحصاء ٢٠٠٣م) ويمثلون ثلثي الشعب الفلسطيني البالغ ٩ ملايين نسمة، طبقًا لإحصاء ذلك العام.

وإضافة إلى الذين شُرّدوا وطردوا من ديارهم؛ فإن حوالي مليون فلسطيني على الأقل أصابهم الاحتلال الإسرائيلي إصابة مباشرة، حيث قُتل في حرب عام ١٩٤٨م وحدها ١٢ ألف فلسطيني، ووضع ٢٥ ألفًا في معسكرات الاعتقال، ويوجد حاليًا في السجون الإسرائيلية ١١ ألف فلسطيني، وبحسب البيانات الإسرائيلية فإن ٤٠٪ من الشبان الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة تعرضوا للاعتقال [٢].

---

(١) القبس الكويتية ٩/ ١١/ ٢٠٠٦م.

(٢) صحيفة الوطن الكويتية ٤/ ٣/ ٢٠٠٨م عدد رقم ١١٥٤١/ ٥٩٨٧ من مقال بعنوان «اعتذار إلى الشعب الفلسطيني» كتبه فهمي هويدي.

وأخيرًا أشير ضمن هذا النموذج إلى ممارسات يهودية وحشية وبشعة جدًّا، منها:

- طرد اليهود للفلسطينيين من أراضيهم، واغتصابها وتشييد آلاف المستوطنات عليها، وإسكان المهاجرين المغتصبين فيها.

- التهديم المنتقى والعشوائي لمنازل الفلسطينيين، سواء بالقصف الجوي أو المدفعي بحجة المشاركة في الانتفاضة، أو القيام بأعمال استشهادية، وتقدر المنازل التي استهدفت بعشرات الآلاف.

- اقتحام المنازل وأهلها فيها، وتدمير أثاثها، وتحطيم محتوياتها، واعتقال شبابها وإشاعة الرعب والهلع بين نسائها وأطفالها.

- اغتيال الفلسطينيين المجاهدين؛ وذلك بالتهديف الصاروخي المباشر على السيارات أو الدراجات التي يستقلونها. وبهذه الطريقة الوحشية تم اغتيال عدد كبير من أفراد وقادة المجاهدين من حماس وغيرها، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد ياسين وعبدالعزيز الرنتيسي وغيرهما.

- القتل لأجل القتل والتسلية، كما حصل للطفل محمد الدرة، وكما حصل لعائلة فلسطينية كاملة خرجت للترويح على شاطئ بحر غزة.

- التخطيط والإعداد لهدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه، ولا يتصور أحد مدى العنف الهائل الذي سينجم عن ذلك.

• **النموذج الثاني**: وهو خاص بالولايات المتحدة الأمريكية، علمًا أن كل الذي سجلناه في النموذج الأول مما يخص إرهاب الكيان اليهودي هو مسجل بذاته في صفحة العنف الإرهابي لأمريكا؛ إذ هي التي أمَّنت الحماية والرعاية له، سواء على مستوى الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي المباشر، أو بواسطة حجبها لجميع استنكارات وشجب مجلس الأمن الدولي لجرائم الكيان الصهيوني الوحشية من خلال استعمالها لحق النقض (الفيتو).

في هذه العجالة لست بصدد استعراض السجل الأسود للعنف الأمريكي منذ أن غزا الأوروبيون أرض القارة الأمريكية وإلى وقتنا الحاضر، مرورًا بالحروب للسيطرة على أمريكا الشمالية، ثم اغتصاب المكسيك، ثم احتلال جزر هاواي، ثم كوبا، ثم بورتريكو،

ثم الهندوراس (عن طريق السيطرة على شركات الموز) ثم غواتيمالا (عن طريق جيش السلفادور الذي دربته الـ CIA) ثم بنما، ثم مرورًا بقصف هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية التي أودت بحياة مئات الآلاف من اليابانيين، إضافة إلى الملايين الذين أصيبوا بالعاهات المستديمة، ثم مات أكثرهم متأثرًا بها، ثم فظائعهم في فيتنام، ومثلها في الصومال ودعمهم للحرب الصليبية ضد المسلمين في أوروبا.

وآخرًا (وليس أخيرًا) احتلالهم لأفغانستان والعراق، ودعمهم لجميع الأنظمة في العالم التي تشدّد إجراءاتها ضد المسلمين، وتهديدهم للدول التي لا تفعل ذلك.

إنه سجل حالك السواد، وقد اعترفت مادلين أولبرايت (وزيرة الخارجية الأمريكية في إدارة رئيس الولايات المتحدة السابق بيل كليتون بين عامي (١٩٩٧ و ٢٠٠١م) بما اقترفت يدا تلك الدولة في كل من العراق وأفغانستان، وذلك في مقابلة مع مجلة فوكس الأسبوعية الألمانية، إذ قالت: «في السابق، عندما كان الناس يسمعون كلمة أمريكا كانوا يفكرون بتحرير أوروبا التي احتلها النازيون وبخطة مارشال، لكن اليوم يفكرون بجوانتانامو وأبو غريب، أعتقد أن حرب العراق هي أكبر كارثة في سياستنا الخارجية، أسوأ من فيتنام»[1]. وسأتوقف سريعًا في محطتين:

المحطة الأولى: جوانتانامو:

هو سجن أعدته الولايات المتحدة في كوبا في معسكر كامب إكس راي في جوانتانامو للمجاهدين (وغير المجاهدين) ممن أسرتهم القوات الأمريكية في أفغانستان؛ حيث بلغت أعدادهم بالمئات (ما بين ٥٩٥ إلى ٧٢٠ أسيرًا يحملون جنسية ٤٣ دولة)، واتهمتهم بالانتماء للقاعدة ولطالبان، وقد ألغى وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد عنهم صفة «أسير حرب»، مخالفًا في ذلك القانون الدولي والقواعد المعمول بها في الحروب، وكان قصده من ذلك أن يُسقِط عنهم أية حقوق تترتب لأسير الحرب. وبناء على ذلك لم يقدّموا إلى أية محاكمة قضائية، ولكن بعد ضغوط شديدة من المجتمع الدولي، وبعد الفضائح المزرية التي انكشفت، وبعد لجوء المحامين للقضاء الأمريكي،

---

(١) صحيفة الوطن الكويتية ٢٥ صفر ١٤٢٩هـ، الموافق ٣ مارس ٢٠٠٨م.

صدر في مطلع يونيو ٢٠٠٤م (أي بعد حوالي سنتين ونصف من اعتقالهم) حكمًا يقضي بجواز محاكمة المساجين أمام المحاكم الأمريكية العسكرية. وقد قامت السلطات الاستخباراتية الأمريكية بتعذيب هؤلاء المعتقلين بطرق تفوق الوصف وحشية وقسوة وضراوة، وقد قام الجنرال جيفري ميللر بإعداد قائمة لتعذيبهم تتضمن ٧٢ بندًا، وأشرف على تنفيذها بنفسه، وفيما يلي ألقي ضوءًا خاطفًا على بعض ما تعرض له المجاهدون المعتقلون في جوانتانامو:

(١) عند نقل المعتقلين من أفغانستان إلى جوانتانامو كانوا يضربون بالهراوات، ويصعقون بالكهرباء ويسحلون، وخلال الرحلة الطويلة جدًا تم تعليقهم من أرجلهم إلى سقف الطائرة في وضع الذبيحة لضمان السيطرة عليهم.

(٢) تم إجبارهم على ارتداء ملابس حمراء ليوقعوا في أنفسهم الخوف والرعب؛ لأن هذه الملابس مخصصة للمحكومين بالإعدام.

(٣) تم وضعهم في أقفاص كالحيوانات، مع تكبيلهم بوضع الأصفاد في أيديهم من الخلف وفي أرجلهم، مع ربطها بكرات حديدية ثقيلة تعيق حركة القدمين، ووضع الأغلال في الساقين. وكذلك وضع الأغلال حول الوسط وخلف الظهر والصدر. وقد ذكر بعض المعتقلين السابقين في جوانتانامو أن هذه الأدوات كانت ممهورة باسم سميث آندويسن، وهي شركة أمريكية أو ممهورة باسم هاتس وهي شركة بريطانية.

(٤) استخدام الحرارة العالية والبرودة الشديدة، وكي الجلود بالنيران، أو استعمال الصعق الكهربائي، وإحداث صداع في الرأس وآلام حادة في المفاصل، وتغطية الرأس والعينين لأيام عديدة.

(٥) حرمانهم من الطعام ليتضوروا جوعًا فتخور قواهم، وإشعارهم بالوهن والضعف والهوان.

(٦) نزع ملابسهم كاملة، وتركهم عراة تمامًا لإشعارهم بالإذلال الجنسي لكسر إرادتهم، وجعل العاهرات العاريات تمامًا يمرون من أمامهم ساخرات منهم. إنه تعذيب منحطّ يستغل الإثارة الجنسية في أبشع صورها، خاصة مع التهديد بالاغتصاب.

(٧) استخدام الكلاب المتوحشة لتخويف المعتقلين، وقد كان ذلك سمة يومية في معتقل جوانتانامو.

(٨) قيام السجانين بتعمد العبث بالأعضاء التناسلية للمعتقلين وتمرير عصا كهربائية في أجزاء حساسة من أجسادهم تلذذًا بالتعذيب.

(٩) الحرمان من النوم ومن العلاج.

(١٠) الإبقاء عليهم في أوضاع تثير التوتر كالجلوس قرفصاء مع إبقاء الأيدي مكبلة لساعات مديدة.

(١١) استخدام «حقنة الحقيقة»، وهي عبارة عن عقار نيتوثال الصوديوم، حيث تؤدي إلى تخدير المحقون بها، ويكون متعاطيها عند الاستيقاظ عاجزًا عن التركيز والضبط لأفكاره وقراراته. وقد استخدمت هذه الحقن لانتزاع الاعترافات من الأسرى؛ إذ يكونون غير قادرين على السيطرة على أقوالهم.

(١٢) استخدام أحزمة الصعق بالصدمات الكهربائية؛ حيث يرتدي المعتقل هذا الحزام طوال ساعات اليوم. ويعمل الحزام بطريقة التشغيل عن بُعد، ويمكن للشرطي الذي بيده زر التشغيل أن يشغله وهو على بعد ٩٠ مترًا من المعتقل. ويحدث حزام الصعق عند تشغيله صدمة كهربائية هائلة مدتها ٨ ثوان تحدث شللاً في الثواني القليلة الأولى، ثم ألمًا مبرحًا خلال الثواني التالية. ويبقى المعتقل تحت هاجس احتمال تشغيل حزام الصعق في أية لحظة، بينما هو محتجز لا حول له ولا قوة. وقد جاء في المطبوعة التي توزعها شركة ستان تك: «على كل حال إذا كنت ترتدي جهازًا آليًا غريبًا حول خصرك يمكنه بمجرد لمسة زر بيد شخص آخر أن يجعلك تتبرز أو تتبول، فإنه بالتأكيد ستنهار نفسيًا». وقد قضى ما يزيد عن مائة أسير في جوانتانامو عامين كاملين يرتدون هذا الحزام؛ حيث كان يسبب لهم الألم الشديد عند تشغيله فجأة فيتعالى صراخهم.

(١٣) استخدام مسدسات النبال، وهي وسيلة تعذيب بشعة جدًا. حيث يطلق من المسدس خطاف باستخدام تقنية المسدس الهوائي، وعندما يلتصق الخطاف بجسم الضحية أو ثيابه تحدث فيه صدمة تشله تمامًا.

(١٤) وصف سجين بريطاني أفرج عنه من سجن جوانتانامو التعذيب الذي تعرض له فقال: هجم علي موظفو السجن بشيء ارتفاعه ٣ أقدام، وعرضه قدم ونصف، وعليه خطوط متموجة ويشبه الدرع، وضغطوه على جسدي فشعرت بالكهرباء تسري فيه. وضربوني به مرتين، في الأولى انحنيت إلى الأمام، وفي الثانية سقطت على الأرض. ثم أمروني أن أستلقي على سرير

خرساني، على كل زاوية فيه حلقة، فاستلقيت على بطني ثم صعقوني بالدرع فلم أستطع تحريك عضلاتي. وقيدوا يدي بالأصفاد إلى الحلقات، ثم قيدوا قدمي بالأغلال ووضعوا أصفاد اليدين حول أغلال قدمي لإدخالها في الحلقات، وضربوني بالدرع مرة واحدة ثم تركوه على جسدي، فخيل لي أنني أتعرض للقتل، ثم تركوني قرابة ١٧ ساعة، وعندما أبلغتهم بحاجتي للتبول قالوا لي: عندما كنت طفلاً ألم تتبول قط على نفسك، وهذا ما كان عليّ فعله !!

(١٥) خلال الفترة من يناير ٢٠٠٢م إلى يوليو ٢٠٠٤م، أي ما يزيد على ثلاثين شهرًا، كانت كل الطرق مغلقة أمام أهالي المعتقلين وحكوماتهم والمحامين الذين كلفهم الأهالي بالدفاع عن ذويهم المعتقلين.

(١٦) نشرت صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية في عددها الصادر يوم الأربعاء ٣/ ١/ ٢٠٠٧م أجزاء من تقارير صادرة عن مكتب التحقيقات الفيدرالية FBI (كان يقوم بإعدادها منذ عام ٢٠٠٤م، وتحوي وقائع مستندة لاستجواب ٥٠٠ موظف عملوا في معتقل جوانتانامو، إضافة إلى وقائع اعترف بها مسئولون حكوميون في تقارير سابقة) جاء فيها واقعة سردها عميل لـ FBI قال: إن أحد المحققين تباهى بأنه أجبر أحد السجناء المسلمين على الاستماع إلى موسيقى البلاك ميتل الشيطانية الصاخبة، ثم ألبسه ملابس تشبه ما يرتديه قس كاثولوكي قبل القيام بمراسم تعميده المتبعة عند النصارى. كما لجأ أحد المحققين إلى إلباس أحد المعتقلين العلم الإسرائيلي. وذكر مسئولون بمكتب التحقيقات الفيدرالية أنهم شاهدوا ٢٦ واقعة إهانة للمسلمين المعتقلين، من بينها قيام بعض المحققين، خاصة النساء منهم، باتباع أساليب إهانة جنسية، وقيام بعض المحققات ببعض التصرفات بغية إبطال صلاة السجناء وقيام بعض المحققين بوضع رأس أحد السجناء الملحتين تحت الماء فترة طويلة لقراءته القرآن بشكل مستمر، وفي إحدى الوقائع قام أحد قادة المارينز أثناء استجوابه لعدد من المعتقلين المسلمين بالوقوف فوق نسخة من القرآن الكريم [1].

إن الذي ذكرته مما حدث ويحدث إلى الآن في جوانتانامو ما هو إلا غَيْض من فيض من الإرهاب والعنف الأمريكي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية، عدد ١٧٣٤، ٢٤ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ الموافق ١٣/ ١/ ٢٠٠٧م.

المحطة الثانية: سجن أبو غريب:

هو سجن يبتعد عن بغداد حوالي ٢٠ ميلاً، تناوب الطغاة على استخدامه لحبس معارضيهم، ثم استخدمته القوات الأمريكية بأبشع ما يمكن أن يستعمله أيّ وحشي من البشر. وهو واحد من سجون كثيرة، كسجون المطار والرصافة والكاظمية وأم قصر والناصرية والرضوانية وغيرها. حشر الأمريكيون في هذا السجن آلافًا مؤلفة من الناس، وفيه قرابة ١٢٠ زنزانة حديدية، وأضافوا إليه ثمانية كامبات (مخيمات) في ساحته، في كل كامب ١٢ - ١٥ خيمة، إضافة إلى مخيم صغير تاسع خاص بالتحقيق مع المعتقلين، يطلق عليه الحراس اسم فوجي لاند. وخصصوا صنبور ماء واحد لكل ٧٠٠ معتقل في كل كامب.

إن مشاهد التعذيب الذي مارسه الأمريكيون السفلة في هذا السجن تتجاوز حدود أي خيال. وسأذكر شيئًا منها مقتضبًا ومختصرًا، فقط للتدليل وليس للاستقصاء، ثم سأذكر، أيضًا بإيجاز، بعض التفاصيل المتعلقة بالتعذيب.

أولاً: عناوين لأصناف التعذيب: (بحسب ما رصدته المنظمة العربية لحقوق الإنسان)، وسأقتصر على بعضها:

يتعرض المعتقلون خلال فترة احتجازهم للتعذيب والضرب والسباب، حتى خلال التحقيقات.

لا ينالون أيّ قسط من الراحة، ويبقون خلال فترة الاحتجاز مقيدين من الخلف بقيود بلاستيكية مسننة تهددهم في حال الحركة بالجرح أو قطع الأوردة.

لا يسمح لهم بقضاء حاجاتهم إلا تحت سمع وبصر الحراس.

يتم تعذيبهم بتقييدهم جالسين ثلاثة أيام متصلة على مقعد خشبي.

يتم تعذيب البعض بربط كلتي يديه بقيد حديدي في عمود معدني، ويُترَك في الشمس لفترات طويلة.

لا توجد رعاية صحية على الإطلاق، رغم انتشار الأمراض بين المعتقلين، ومعظمهم يعانون من أمراض مزمنة وخطرة.

يتعامل بعض الحراس الأمريكيين مع المعتقلين بعنصرية كبيرة، ويتمنون لهم الموت باعتبارهم كائنات لا تستحق الحياة.

ثانيًا: تقرير الجنرال تاجوبا:

وهـو تقرير أُذيع في برنامج: ٦٠ دقيقـة على القناة الأمريكية S.B.C بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠٠٤م، وأبرز ما جاء فيه عن وسائل التعذيب في سجن أبو غريب ما يلي:

توجيه الركلات واللكمات للمساجين، وقفز الجنود بأحذيتهم العسكرية على أجساد السجناء العراة.

تصوير السجناء والسجينات فوتوغرافيًا بكاميرات الفيديو، وهم عراة تمامًا.

إجبار مجموعات من السجناء على الاشتراك في أوضاع جنسية فاضحة لتصويرهم.

إجبار محتجزين على الاستمناء وتصويرهم.

الإصرار على أن يرتدي السجناء الذكور ملابس داخلية نسائية.

تكويـم الأجساد العاريـة فـوق بعضهـا البعـض، وقفـز الجنـود عليهـا فيما يشـبه الأكروبات.

توصيـل الكهرباء بأطراف السـجناء وأعضائهم التناسـلية للاسـتمتاع بمنظرهم وهم يرتعشون وينتفضون.

وضع أطواق الكلاب حول رقاب السجناء، ثم جرهم بالسلاسل على الأرض.

الاعتداء جنسيًّا على سجينات عراقيات.

اسـتخدام الكلاب العسكرية المدربة لتخويف السـجناء، والسماح لها بنهش لحمهم وإحداث إصابات بالغة بهم.

التقـاط الجنود صـورًا تذكارية بجوار جثـث ضحاياهم من السـجناء العراقيين الذين ماتوا تحت التعذيب.

تهديد السـجناء بإطلاق الرصاص على رءوسـهم، وإطلاق أعيرة بالفعل فوق رءوس البعض.

التهديد باغتصاب الرجال، وقد تم تنفيذ التهديد في عدد منهم.

تعذيـب السـجناء بالضغـط علـى أماكـن إصابتهـم التـي أصيبوا بهـا أثنـاء عمليات التعذيب.

سكب الماء المثلج على أجساد السجناء العارية ولفهم بأكياس الثلج.

سكب سوائل فسفورية على المساجين، وتعرضهم لأضواء كمياوية.
ضرب الرجال بمؤخرات البنادق في مناطق حساسة بهدف إخصائهم.
وضع عصيان المكانس في المؤخرات بعد غمسها في سوائل كيماوية حارقة.
إجبار الرجال على ممارسة الجنس مع بعضهم البعض من خلال الفم.

ثالثًا: شهادات المعتقلين والصحافة:

سأذكر مقتطفات سريعة من شهادات المعتقلين في سجن أبو غريب:

شهادات الحاج شوقي الكبيس وأولاده، مما جاء فيها: «تشغيل أغاني وموسيقى أجنبية صاخبة بصوت عال بهدف إزعاج المعتقلين، ومنعهم من النوم والراحة لمدة تصل إلى ٢٤ ساعة في معظم الأيام، فضلاً عن تعذيب معتقلين آخرين علنًا بكشف عوراتهم، وعرضهم عرايا أمام زملائهم فيما تبدو عليهم آثار الإعياء والجروح الشديدة نتيجة التعذيب. وقد عانى من قلة مياه الشرب والتي كانت ملوثة، وسوء وجبات التغذية وقلة مقدارها، كما أنه شاهد عشرات المعتقلين المنقولين من قصر الأعظمية الرئاسي السابق لحظة دخولهم سجن أبو غريب وهم مكسورو الأطراف... وقد أطلقت النيران الحية على المعتقلين عندما هلّلوا وكبروا صبيحة عيد الفطر (مارس ٢٠٠٣م) فاستشهد ثمانية منهم فورًا وأصيب العشرات».

نشرت صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية في ١٩ مايو ٢٠٠٤م تفاصيل مخزية وموثقة عما جرى في سجن أبو غريب، وقدمت وصفًا كتابيًا لما يزيد على ألف صورة (حجب نشرها) وكذا شرائط فيديو، ومن بين لقطات شرائط الفيديو ما يلي:

لقطات لمشاهد تظهر خمسة سجناء عرايا ورءوسهم مغطاة بأكياس، وهم يقفون أمام جدار في الظلام مادين أذرعهم، وأقدامهم مكبلة.

مشهد لسجين يرتدي حلة برتقالية، وقد بدت على وجهه علامات الفزع والخوف وأمامه كلب ينبح قبل أن ينهش أعضاءه التناسلية.

مشهد لسجين مقيد اليدين بالجزء الخارجي من باب الزنزانة، وقد حشرت رأسه بين القضبان.

مشهد لسجينين عراقيين أجبرا على ممارسة اللواط.

مشهد لمعتقل غطى وجهه البراز يتم سحبه أمام سجناء عراقيين كنوع من التهديد.

كما نشرت الواشنطن بوست تصريحات موثقة لمعتقلين عراقيين ذكروا فيها أنهم تعرضوا للضرب، والاغتصاب الجنسي، وأجبروا على أكل لحم الخنزير، وشرب الخمور.

شهادة عبد الوهاب يوسف (رقم الاعتقال ١٥٠٤٢٥، وقد أدلى بشهادته بتاريخ ١٧ يناير ٢٠٠٤م)، ومما جاء فيها: «واصطحبوني لغرفة معتمة، وخلعوا ملابسي حتى أصبحت عاريًا تمامًا، ثم سكبوا الماء البارد على جسدي، ثم أجبروني على وضع فمي داخل عضو حساس لرجل كان موجودًا بالفعل داخل الحجرة... ».

شهادة حيدر صابر عبد المكتوب البوري (أدلى بها بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٠٤م)، ومما جاء فيها: «وبدءوا تجريدي من ثيابي قطعة قطعة، ثم رفعوا الكيس الذي كان يغطي رأسي، فوجدت أمامي ضابطة أمريكية تدعى (مايز) تقف أمامي، وفوجئت بها تأمرني أن أتحسس جزءًا حساسًا أمامها... ثم غطوا رأسي مرة أخرى، وعندما رفعوا غطاء رأسي فجأة وجدت أمامي أحد أصدقائي راكعًا على الأرض وفمه في مواجهة عضوي. بعد ذلك أمروني أن أجلس على الأرض ووجهي للحائط، ثم أتوا بسجين آخر أجبروه على أن يرقد فوق ظهري وهو عارٍ تمامًا، وأتوا بثلاثة معتقلين عراقيين آخرين، وهم عراة وأجبروهم على النوم فوق ظهري، ثم أمروني بالنوم على بطني على الأرض، ثم أتوا بمعتقل عراقي آخر عارٍ تمامًا أجبروه على النوم فوقي بينما هم سعداء يضحكون ضحكات هستيرية ويلتقطون الصور...

وفي شهادة أخرى للأسير حيدر صابر، أدلى بها في حوار أجرته معه صحيفة لوس أنجلوس تايمز، ونقلته عنها الشرق الأوسط اللندنية في ٧ مايو ٢٠٠٤م، وهو الذي ظهر في صورة مشهورة مغطى الرأس ومجندة أمريكية (هي ليندي إنجلاند) تشير بطريقة مذلة إلى أعضائه التناسلية وهي تدخن.. جاء في شهادته: «.. أُرغمت مع رجال آخرين على التعري، وممارسة العادة السرية والشذوذ، فيما كانت مجندة أمريكية تسجل كل ذلك بالكاميرا.. بعد حوالي ساعتين من الضرب أرغمنا الجنود على التكوم والتعري.. ونزعوا غطاء رأسي فوجدت نفسي وجهًا لوجه مع المجندة التي كانت تصورنا، فوجئت بها تأمرني بالاستمناء، بينما تضغط على صدرها وتضحك، وعندما أبديت احتجاجي على

ذلك أوسعوني ضربًا، كنت في حالة رعب، كنت أرتجف.. كانوا يربطونني مع زملائي من رقابنا كالحيوانات، وأصدر قائد المجموعة أمرًا لنا بأن نجلس في وضع الكلب.. ».

شهادة الأسير ثأر سلمان داود (رقم الاعتقال ١٥٠٤٢٧، وأدلى بها بتاريخ ١٧ يناير ٢٠٠٤م)، وجاء فيها: «من داخل المعتقل كنت أرى أكوامًا من المعتقلين عراة يجبرون على ممارسة اللواط، دون مراعاة لحرمة أو قدسية شهر رمضان، بينما جرينر ومن معه من زبانية السجن يضحكون بصورة هستيرية، وهم سعداء يلتقطون الصور من الخلف، ومن الأمام... ومن بينهم ثلاث جنديات أمريكيات، كانت ضحكاتهن ترتفع كلما ارتفعت حرارة حفلة اللواط الجماعي... ».

شهادة الأسير باسم أمين (رقم الاعتقال ١٥٠٤٢٢/ ١٦٣٠، وأدلى بها في ١٧ يناير ٢٠٠٤م)، وجاء فيها: «.. أثناء اعتقالي أتى إليّ جندي أمريكي، وسألني عما أومن به، فقلت له أومن بالله العظيم، فرد عليّ قائلاً: أما أنا فأؤمن بالتعذيب وسوف أعذبك.. وبدأ الجندي في تجريدي من ملابسي وصعقني بالكهرباء وركل ساقي المكسورة بقوة، وهو يأمرني بأن ألعن الإسلام.. ومن شدة التعذيب الذي شاركه فيه جنود أمريكان آخرون لعنت ديني، وامتثلت لأوامرهم بأن أشكر المسيح لأنني مازلت حيًا... ».

شهادة الأسير حسين محمد الزيادي (رقم الاعتقال ١٩٤٤٦/ ١٢٤٢ أدلى بها في ١٨ يناير ٢٠٠٤م)، وجاء فيها.. «إن الضباط والجنود الأمريكان أجبروه على ممارسة اللواط مع ستة من زملائه بعد أن جردوهم من ملابسهم تمامًا... ».

شهادة الأسير محمد جمعة (رقم الاعتقال ١٥٠٢٣٠٧/ ١٢٠٠ أدلى بها بتاريخ ١٨ يناير ٢٠٠٤م)، وجاء فيها: «أنه شاهد ضابطًا أمريكيًا وهو يوجه مسدسه على مجموعة من المعتقلين العراقيين كان من بينهم أب وابن وأجبرهما على ممارسة اللواط... لقد وصل الأمر إلى حد قيام الحارس جرينر بوضع الطعام داخل مياه الحمامات الممتلئة بالبول والبراز وإجبار المعتقلين على أكله.. ».

إن جميع الشهادات الأخيرة الخمسة التي ذكرتها تمت أمام لجنة تحقيق أمريكية.

شهادة الأسير هشام محسن لازم (رقم الاعتقال ١٥٢٢٧، نشرت شهادته الواشنطن بوست)، وجاء فيها: «.. طوال تلك الفترة كان الجنود الأمريكان يربطوننا ويجردوننا من

ملابسنا، ويجبروننا على ممارسة العادة السرية واللواط، بينما أسواط الحراس الأمريكان تنهال علينا من كل مكان.. وكانوا يخبطون رءوسنا في جدران السجن... ويجبرون السجناء على امتصاص السائل لسجناء آخرين، بينما قائدهم يصيح فيهم: اجعلوا هؤلاء السجناء يقفزون مثل الكلاب.. كنت أسمع صرخات السجناء من حولي، بينما الجنود الأمريكان يستخدمون السكاكين في تقطيع أجسادهم، وكلما اقتربت تلك السكاكين من أعضائهم التناسلية ارتفعت ضحكات المجندات الأمريكيات الموجودات في غرفة التحقيق،.. ولم يكن من حق أيّ منا أن يذهب لقضاء حاجته، ومن يرد فعليه أن يتبول ويتبرز في نفس مكانه»(١).

ما ذكرته هو مجرد مقتطفات للعنف الأمريكي الشرس في معتقلين فقط، هما معتقل جوانتانامو ومعتقل أبو غريب، ولو أردنا استقصاء الإجرام الأمريكي في أفغانستان والعراق فلن تكفينا المجلدات.

لقد استغلت الولايات المتحدة قوتها أسوأ استغلال، لكنها في نهاية الأمر في الحياة الدنيا إلى زوال، شأنها شأنُ عاد. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ (الفجر: ٦ - ٨)، وفي الآخرة إلى جحيم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۝١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (آل عمران: ١٨٦ - ١٩٧).

(١) جميع ما ذكرته مما يتعلق بمعتقل جوانتانامو ومعتقل أبو غريب منقول بتصرف من كتاب «العار الأمريكي من جوانتانامو إلى أبو غريب» تأليف محمد إبراهيم بسيوني، ط. أولى ٢٠٠٥م.

الفهرس

استهلال	٥
الفصل الأول: التحديات المعاصرة ومدارس الإسلاميين	٩
التحديات	٩
مواجهة التحديات	١٧
منهج الإسلاميين في مواجهة التحديات	٢١
المدارس الإسلامية ومواجهة التحديات	٢٤
أولاً: المدرسة الجهادية	٢١
ثانيًا: المدرسة السلمية التغييرية	٣٠
خلاصة تقييمية	٣٣
المطلوب	٣٤
الفصل الثاني: التحدي الأمريكي والتصدي العالمي لأخطاره	٣٥
أمريكا السكرانة	٣٥
أخطار أمريكا على العالم	٣٦
كيف تواجه دول العالم مخاطر التحدي الأمريكي؟	٣٨
أولاً: دول العالم العربي والإسلامي	٣٨
ثانيًا: منظومة الاتحاد الأوروبي	٤٠
ثالثًا: روسيا	٤٣
رابعًا: الصين	٤٥
خامسًا: سائر دول العالم	٤٧
بروز الأقطاب الدولية	٤٨
العمل الإسلامي واللوحة العالمية	٤٩
الفصل الثالث: مقاومة استراتيجية فرض الهيمنة الأمريكية	٥١
(مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية)	٥١
مواصفات الشريك الأمريكي	٥١
هاس مؤصل المبادرة	٥٣

وثيقة كونداليزا رايس ٥٤
مبادرة باول ٥٦
أسباب واقعنا المهين ٥٨
المذكرة التنفيذية لمبادرة باول ٦٠
أولاً: هدف المبادرة وأد الإرهاب ٦٠
ثانيًا: مشاكل البيئة العربية ٦١
ثالثًا: خطوط عريضة في برنامج الإصلاحات ٦٢
رابعًا: المسائل الأساسية المشترطة لتنفيذ المبادرة ٦٣
الأول: التعليم ٦٣
الثانية: التدريب ٦٥
الثالثة: المجالس التشريعية ٦٦
الرابعة: المرأة العربية المسلمة ٦٨
خامسًا: آليات التنفيذ ٦٩
• المجموعة الأولى ٦٩
• المجموعة الثانية ٧١
• المجموعة الثالثة ٧١
• المجموعة الرابعة ٧٢
• عموميات تخص المجموعات ٧٣
• وقفات مع نظام المجموعات ٧٣
• اقتراحات ٧٥
الملاحق (١ – ٤) ٧٧
الفصل الرابع: التحديات المعاصرة ومشروعية العنف ٩٥
الوجه الأول: العنف المشروع ٩٥
الوجه الثاني: العنف غير المشروع ٩٧
جوانتانامو ١٠١
أبو غريب ١٠٥
الفهرس ١١١